

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

PEOPLE'S DEMOCRATIC REPUBLIC OF ALGERIA

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH

UNIVERSITY OF BLIDA 2 LOUNICI ALI

ACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCE

AMIR KHALED ALDJAZAIRI

Department of History and Library Science



جامعة البليدة 2 لونيسى علي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

الأمير خالد الجزائري

قسم التاريخ وعلم المكتبات

# مطبوعة بيداغوجية في مقياس المشرق الإسلامي ما بين القرنين 8-15 الميلادي

التخصص: تاريخ عام

الطور: ليسانس

السنة: ثالثة ليسانس

إعداد الأستاذة: د. مقدم سهام

السنة الجامعية: 2024/2023

المادة:المشرق الإسلامي ما بين القرنين ( 8 - 15 م )

محتوى المادة :

1- الدولة العباسية

2- الحركات السياسية و الاجتماعية .

3- الدويلات المستقلة عن العباسيين .

4 - الاجتياح المغولي

## المقدمة :

أكثر الدول الإسلامية التي عرفت وسطع اسمها في التاريخ الإسلامي هي الدولة العباسية لتتركز المراتب الأولى ، فهي أطولهم عمرا من حيث تاريخها وشأنها وثرواتها، وذلك ما جعل جل المؤرخين و الباحثين يتوجهون إليها، ولم يشهد التاريخ عبر الامتداد الزمني اهتمام ودراسة و تمحيص و تحقيق أكثر ما وجدته الفترة العباسية بحيث تواجدت العديد من المؤلفات التي تحدثت عن تاريخ هذه الدولة ، ولا حظيت مثلها بهذا الكم الهائل من المؤلفات التي دارت حولها أو غاصت فيها. وليس هذا بالأمر المستغرب إذا ما يزيد عن ثلثي التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى .

علمنا أنها تغطي زمنيا ونتيجة لما سبق؛ كان من الطبيعي أن يحظى حقل التاريخ العباسي في العامل كله بكم هائل من الدراسات والبحوث التي استهدفت التعمق في خفايا هذا العامل المثير والغريب. وحظيت المكتبة العربية بنصيب وافر من هذه الدراسات، والشك أن هذه الدراسات ساهمت بشكل كبير في جعل المدرسة التاريخية الخاصة بالدولة العباسية واحدة من أغنى المدارس التاريخية وأهمها في عاملنا العربي.

ففي ظل هذه الوفرة النوعية شائكا ويبدو الولوج بعد ذلك لهذا العامل أمرا والكمية في الدراسات التي اهتمت بالدولة العباسية، يبدو للدارس أن الوقوف وسط هذا الزخم أمر بالغ الصعوبة. ولكن تبقى التجربة ودافعية التراكم المعرفي هي المحرك الأساسي لخوض غمار هذا العامل الرحب .و في هذا العمل العلمي، نحاول أن نلقي بعض الأضواء على تاريخ الدولة العباسية خلال العصور الثلاثة .

انتقال الحكم إلى العباسيين كان عهد مروان بن محمد آخر عهد في الخلافة الأموية، والذي استمر من 127هـ إلى 132هـ؛ حيث قامت الثورات في بلاد الشام تطالب بسقوط الدولة الأموية، وظهرت الفتن، ومن أشهرها فتنة الخوارج، والتي كانت بقيادة الضحّاك بن قيس، وعلى الرغم من قتله؛ إلا أن الدولة الأموية كانت تقف على بوابة الانهيار، وما أن تمّ قتال الخوارج والقضاء عليهم، حتى ظهرت الدولة العباسية في خراسان، وساءت الأوضاع أكثر في بلاد الشام والعراق، وفي عام 129هـ، بدأت الدولة العباسية بالظهور على يد أبي مسلم الخراساني؛ أي قبل انهيار الدولة الأموية بثلاث سنوات تقريباً، وكان أول الخلفاء العباسيين اختياراً هو أبو العباس، وقد شرع أنصار علي بن أبي طالب يطالبون بالخلافة إلى أن تمّ قمعهم على يد العباسيين، كما قمعهم الأمويون من قبل.

## العصر العباسي الأول :

( 132 - 232 هـ / 750 - 847 م )

قامت الدولة العباسية بعد سقوط الدولة الأموية، وكانت الجهود التي بذلها العباسيون من أهم العوامل التي أدت إلى سقوطها، ومن ثم تم تأسيس الدولة على يد موالي خراسان؛ حيث خطط سكان خراسان من العرب، والفرس، والترك بشكل سري لإنشاء الدولة العباسية، وقد كان أغلب سكان خراسان يحتلون مراكز كبيرة في الدولة، كما ظهرت جماعة من الفرس ظنت أن الدولة العباسية أصبحت ملكاً لهم، وسرعان ما حدث نزاع بينهم وبين الخلفاء العباسيين الذين لم يرغبوا أن يشاركهم أحد بالسلطة أيّاً كان أصله، وما لبثوا أن تخلصوا من أبي مسلم الخراساني، ومن عبد الله بن علي بن العباس قائد الدولة.

بدأت الدولة العباسية بعصر التأسيس، وكان أول خليفة في هذا العصر هو أبو العباس السفاح، ثم تلاه أخوه أبو جعفر المنصور، والذي انشغل بتوطيد أركان الدولة وترسيخها، وقضى على بعض من العناصر التي سارت مع الفتنة، وأرادت تمكين نفسها على حساب العباسيين، مثل أبو سلمة الخلال، وأبو مسلم الخراساني، أما مكان انطلاق الدعوة العباسية، فكان من مدينة الكوفة؛ حيث جعل العباسيون مدينة الكوفة مركزاً للدولة؛ بسبب كثرة أنصار الدولة العباسية فيها، كما أنه من الكوفة يمكن التوجه إلى خراسان والتركيز على الدعوة فيها؛ حيث يكثر فيها الفرس والترك، كما أراد العباسيون الاستفادة من الصراع القائم بين القيسية واليمينية من العرب، وكسب الأطراف المحايدة إلى صفهم، وقد كان هناك عداوة واضحة بين اليمينية التي تشكل نسبة كبيرة في خراسان ووالي خراسان نصر بن سيار الذي كان يتعصب للقيسية، والجدير بالذكر أن العباسيين كانوا قد وجدوا من يناصرهم في خراسان حقاً، ولم تختلف بقية الأمصار الإسلامية عن خراسان بهذا الصدد.

## المحاضرة الأولى: الخليفة الأول أبو العباس السفاح:

( 132 - 136 هـ / 750 - 754 م )

أبو العباس السفاح يرجع إليه الفضل في قيام الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية، وهو أول خليفة عباسي يتولى الحكم، حيث دام حكمه مدة أربع سنوات قبل أن يتولى أخوه الأكبر الخلافة عنه قام خلاله بالعديد من الأعمال ، هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب، تولى الخلافة العباسية قبل وفاته عام 754م في الأنبار، ليتولى أبو جعفر المنصور أخوه الأكبر الخلافة بعده، وهو ابن لمحمد بن علي السجاد.

ينتشارك أبو العباس السفاح والرسول صلى الله عليه وسلم في النسب في جده عبد المطلب، كان والداه زاهدين في الدنيا مقبلان على الآخرة والعبادة، كان ضعيفاً عند ابن الحنفية، وتلقى منه كل أسرار الدعوة السرية وبرحت جميع أسرارها وتطوراتها عندهم، لذلك فقد عرف أبو العباس وأبوه وجميع أخوته بأمر الدعوة السرية وفاته، فأخذ زمام الأمور من بعد وخلفه إبراهيم الإمام ولكن الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد اكتشف أمر الدعوة فقام بقتل إبراهيم الإمام، في حين هرب أبو العباس أبو جعفر منه وذهب إلى الكوفة حيث استقرا هناك، وكان إبراهيم الإمام قبل مقتله قد أوكل أمر الدعوة والسير بها إلى أبو العباس وليس إلى أخيه الأكبر أبو جعفر، ويعود السبب في هذا لكون أبو العباس ولد لامرأة حرة هي ريطة الحارثية ، في حين أن أبو جعفر المنصور كان من أم بربرية. استطاع الخليفة العباسي أبو العباس السفاح من الانتقال من الدعوة إلى الدولة في غضون أربعة أعوام فقط<sup>1</sup>.

بعد قيام أبو العباس السفاح من إعلان قيام الخلافة والدولة العباسية لم تستطع نفس مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين من مبايعته والدخول تحت حكمه فقام بإعداد وتجهيز وإرسال جيش لمقاتلة السفاح، وعندما علم أحد أمراء العباس أبو عون بن يزيد بهذا الأمر قام هو الآخر بتجهيز جيش انضم لجيش مروان بن محمد، والتقى الجيشان مع جيش أبو العباس السفاح عند نهر الزاب ، وعمل أبو العباس السفاح على إرسال التعزيزات والإمدادات لجيشه، وعين عليهم عبد الله بن علي قائداً عليهم، وعندما اشتدت المعركة وحمي الوطيس، تقاعس وتخاذل بعض من جيش مروان بن محمد فهزم هناك وهرب مولى إلى مصر، ولكن لحق به صالح بن علي وقتله في الصعيد في منطقة يقال لها البوصير<sup>2</sup>.

### أعماله:

قام أبو العباس السفاح في فترة حكمه بالعديد من الأعمال، فقام ببناء مدينة في الأنبار أسموها بالمدينة الهاشمية نسبة إلى هاشم، وقام بقتل وسجن بعض أعوانه الذين ناصرُوا الثورات والحركات العدائية ضد الخلافة، وحدد الطريق بين الكوفة ومكة. تزوج من أم سلمة بنت يعقوب المخزومية، وأنجبت له ابنه محمداً، وابنته ريطة<sup>3</sup>.

### وفاته:

<sup>1</sup> ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، (ت 630 هـ - 1332 م)، الكامل في التاريخ، (الجزء الرابع) دار صادر، بيروت، طبعة 1965 م ، ص ص 150 ، 155 .

<sup>2</sup> محمود شاكر الحرساني ، عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح ، الطبعة الأولى ، دار المکتب الإسلامي ، 1421 هـ / 2000 م ، ص 87 .

<sup>3</sup> المصدر السابق ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ص 156 .

لم يدم حكمه طويلاً حيث بقي في الخلافة أربع سنوات وتسعة أشهر، ومات في مدينة الأنبار سنة 136 هـ بعد أن عهد بالخلافة لأخيه أبي جعفر المنصور .

### **ال خليفة أبو جعفر المنصور**

**( 137 - 158 هـ / 754 - 775 م )**

#### **مولده ونشأته :**

ولد في قرية "الحميمة" التي تقع جنوب الشام عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس سنة (95هـ / 714م)، ونشأ بين كبار رجال بني هاشم الذين كانوا يسكنون الحميمة، فشب فصيحا عالما بالسير والأخبار، ملما بالشعر والنثر. وكان أبوه محمد بن علي هو الذي نظم الدعوة العباسية، وخرج بها إلى حيز الوجود، واستعان في تحركه بالسرية والكتمان، والدقة في اختيار الرجال والأنصار والأماكن التي يتحرك فيها الدعاة، حيث اختار الحميمة والكوفة وخراسان نجحت الدعوة العباسية أطاحت بالدولة الأموية.

تولى أبو العباس السفاح الخلافة سنة (132هـ / 749م) واستعان بأخيه جعفر في محاربة أعدائه والقضاء على خصومه وتصريف شؤون الدولة، وكان عند حسن ظنه قدرة وكفاءة فيما تولى، حتى إذا مرض أوصى له بالخلافة من بعده، فولياها في (ذي الحجة 136هـ / 754م) وهو في الحادية والأربعين من عمره. الفترة الأولى من خلافته لم تكن الدولة العباسية حين تولى أمرها الخليفة أبو جعفر المنصور ثابتة الأركان مستقرة الأوضاع، بل كانت حديثة عهد، يتربص بها أعداؤها، ويتطلع رجالها إلى المناصب الكبرى، وينتظرون نصيبهم من الغنائم والمكاسب، ويتنازع القائمون عليها من البيت العباسي على منصب الخلافة. وكان على الخليفة الجديد أن يتصدى لهذه المشكلات التي تكاد تفتك بوحدة الدولة، وتلقي بها في مهب الريح.<sup>1</sup>

كان أول ما واجهه أبو جعفر المنصور ثورة عارمة حمل لواءها عمه عبد الله بن علي الذي رأى أنه أحق بالخلافة من ابن أخيه؛ فرفض مبايعته، وأعلن التمرد والعصيان، وزعم أن "أبو العباس السفاح" أوصى بالأمر له من بعده، واستظهر بالجيش الذي كان يقوده في بلاد الشام. لجأ الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى المدينة واتباع الطرق السلمية في علاج الموقف، فبعث إلى عمه رسائل عدة تدعوه إلى الطاعة وترك العصيان، لكنه أعرض عن دعوته وركب رأسه وأعماه الغرور، فلم يجد المنصور بداً من الاستعانة بالسيف، وأرسل له قائده "أبو مسلم الخراساني" على رأس جيش كبير، فتمكن بعد عدة معارك من هزيمة عم الخليفة المتمرد هزيمة ساحقة في (جمادى الآخرة 137هـ = نوفمبر 754م)، فاضطر إلى الفرار والاختباء عند أخيه سليمان بن علي والي البصرة، ولما علم الخليفة أبو جعفر المنصور بخبره احتال له حتى قبض عليه، وألقى به في السجن حتى توفي. وما كاد يلتقط الخليفة العباسي أنفاسه حتى أعد العدة للتخلص من أبي مسلم الخراساني، صاحب اليد الطويلة في نجاح قيام الدولة العباسية، وكان الخليفة يخشاه ويخشى ما تحت يده من عدد وعتاد في خراسان، ولم يكن الرجال على وفاق منذ قيام الدولة.<sup>2</sup>

كان أبو مسلم الخراساني يتيه بما صنعه للدولة. وتحين أبو جعفر المنصور الفرصة للتخلص من غريمه، ولجأ إلى الحيلة والدهاء حتى نجح في حمل أبي مسلم على القدوم إليه بعيداً عن أنصاره وأعوانه في (شعبان 137هـ / فبراير 755م)، وبعد جلسة حساب عاصفة لقي القائد الكبير مصرعه بين يدي

<sup>1</sup> المصدر السابق ، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ص173.

<sup>2</sup> الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير، ( 310 هـ - 922 م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء السابع) ، دار المعارف القاهرة، طبعة 1979م ، ص 234 .

الخليفة. وبعد مقتل أبي مسلم الخراساني اشتعلت ضد الخليفة العباسي عدة ثورات فارسية للثأر لمقتله، غير أن الخليفة اليقظ نجح في قمع هذه الفتن والقضاء عليها<sup>1</sup>.

ثورة محمد النفس الزكية غير أن أخطر ما واجه المنصور هو ثورة العلويين بقيادة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية، وأخيه إبراهيم، وكانا يعدان العدة للخروج على أبي جعفر المنصور، وينتظران الفرصة للانقضاض عليه، واختفيا عن أنظار الخليفة بيثان رجالهما وينشران الدعوة إليهما. وكان محمد النفس الزكية يرى نفسه أحق بالخلافة من أبي جعفر المنصور، فامتنع عن بيعته، كما امتنع من قبل عن بيعته أبي العباس السفاح، فلما ولي أبو جعفر المنصور رأى في بقاء محمد وأخيه خطرًا يهدد دولته، وأيقن أنهما لن يكفا عن الدعوة إلى أحقية البيت العلوي بالخلافة، وأقلق اختفاؤهما الخليفة اليقظ؛ فبذل ما في وسعه لمعرفة مكانهما فلم ينجح في الوصول إليهما، وعجز ولاية المدينة عن تتبع أخبارهما، فاستعان بوالٍ جديد للمدينة غليظ القلب للوصول إلى مكان **محمد النفس الزكية**، فلجأ إلى القبض على عبد الله بن الحسن والد الزعيمين المختفيين وهدده وتوعده، وقبض أيضًا على نفر من آل البيت، وبعث بهم مكبلين بالأغلال إلى الكوفة فشدد عليهم الخليفة وغالى في التنكيل بهم<sup>2</sup>.

اضطر محمد النفس الزكية إلى الظهور بعد أن مكث دهرًا يدعو لنفسه سرا، واعترف الناس بإمامته في مكة والمدينة، وتلقّب بأمر المؤمنين، وكان الناس يميلون إليه لخلقهم وزهده وحلمه وبعده عن الظلم وسفك الدماء حتى أطلقوا عليه النفس الزكية. وحين نجحت حيلة المنصور في إجبار محمد النفس الزكية على الظهور بعد القبض على آل بيته، بعث إليه بجيش كبير يقوده عمه عيسى بن موسى فتمكن من هزيمة محمد النفس الزكية وقتله بالمدينة المنورة في (14 من رمضان 145هـ / 6 من ديسمبر 762م). ثم تمكن من هزيمة الجيش العلوي الثاني الذي كان يقوده إبراهيم أخو محمد النفس الزكية، الذي تغلب على البصرة والأهواز وفارس، ونجح في القضاء عليه بعد صعوبة بالغة في (25 من ذي القعدة 145هـ / 14 من يناير 763م) في معركة حاسمة وقعت في "باخمري" بين الكوفة و واسط، وبذلك زال خطر هائل كان يهدد سلامة الدولة الناشئة<sup>3</sup>.

قد أثبتت هذه الأحداث المتلاحقة والثورات العارمة، ما يمتلكه الخليفة أبو جعفر المنصور من براعة سياسية وخبرة حربية، وقدرة على حشد الرجال، وثبات في المحن، ودهاء وحيلة في الإيقاع بالخصوم، وبذلك تمكن من التغلب على المشكلات التي واجهته منذ أن تولى الحكم. المنصور وبناء بغداد رغب الخليفة أبو جعفر المنصور في بناء عاصمة جديدة لدولته بعيدة عن المدن التي يكثر فيها الخروج على الخلافة كالکوفة والبصرة، وتتمتع باعتدال المناخ وحسن الموقع، فاختار "بغداد" على شاطئ دجلة، ووضع بيده أول حجر في بنائها سنة (145هـ / 762م) واستخدم عددا من كبار المهندسين للإشراف على بنائها، وجلب إليها أعدادا هائلة من البنائين والصناع، فعملوا بجد وهمة حتى فرغوا منها في عام (149هـ / 766م) وانتقل إليها الخليفة وحاشيته ومعه دواوين الدولة، وأصبحت منذ ذلك الحين عاصمة الدولة العباسية، وأطلق عليها مدينة السلام؛ تيمنا بدار السلام وهو اسم من أسماء الجنة، أو نسبة إلى نهر دجلة الذي يسمى نهر السلام. ولم يكتف المنصور بتأسيس المدينة على الضفة الغربية لدجلة، بل عمل على توسيعها سنة (151هـ / 768م) بإقامة مدينة أخرى على الجانب الشرقي سماها الرصافة، جعلها مقرا

<sup>1</sup> المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت 346 هـ - 957 م) - مروج الذهب ، تحقيق، محمد محي الدين حميد، مطبعة السعادة، (الجزء الرابع) مصر طبعة 1958م. لتبنيهِ والإشراف ، لجنة تحقيق التراث ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1402هـ - 1981م ، ص ص 110 ، 112.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، 118

<sup>3</sup> كرم ملحم كرم ، أبو جعفر المنصور ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1954م ، ص 99 .

لابنه وولي عهده "المهدي" وشيد لها سورا وخندقا ومسجدا وقصرا، ثم لم تلبث أن عمرت الرصافة واتسعت وزاد إقبال الناس على سكناها بيت الحكمة<sup>1</sup>.

أهم الأعمال الجليلة التي تُذكر للمنصور عنايته بنشر العلوم المختلفة، ورعايته للعلماء من المسلمين وغيرهم، وقيامه بإنشاء "بيت الحكمة" في قصر الخلافة ببغداد، وإشرافه عليه بنفسه، ليكون مركزا للترجمة إلى اللغة العربية. وقد أرسل أبو جعفر إلى إمبراطور الروم يطلب منه بعض كتب اليونان فبعث إليه بكتب في الطب والهندسة والحساب والفلك، فقام نفر من المترجمين بنقلها إلى العربية. وقد بلغ نشاط بيت الحكمة ذروته في عهد الخليفة المأمون الذي أولاه عناية فائقة، ووهبه كثيرا من ماله ووقته، وكان يشرف على بيت الحكمة قيم يدير شؤنه، ويُختار من بين العلماء المتمكنين من اللغات. وضم بيت الحكمة إلى جانب المترجمين النساخين والخازنين الذين يتولون تخزين الكتب، والمجلدين وغيرهم من العاملين. وظل بيت الحكمة قائما حتى داهم المغول بغداد سنة (656هـ / 1258م)<sup>2</sup>.

شخصية أبو جعفر المنصور كان الخليفة أبو جعفر المنصور رجل عمل وجد، لم يتخذ من منصبه وسيلة للعيشة المرفهة والانغماس في اللهو والاستمتاع بمباهج السلطة والنفوذ، يستغرق وقته النظر في شؤون الدولة، ويستأثر بمعظم وقته أعباء الحكم. وكان يعرف قيمة المال وحرمته، فكان حريصا على إنفاقه فيما ينفع الناس؛ ولذلك عني بالقليل منه كما عني بالكثير، ولم يتوان عن محاسبة عماله على المبلغ الزهيد، ولا يتردد في أن يرسل إليهم التوجيهات والتوصيات التي من شأنها أن تزيد في دخول الدولة، وكان يمقت أي لون من ألوان تضييع المال دون فائدة، حتى اتهمه المؤرخون بالبخل والحرص، ولم يكن كذلك فالمال العام له حرمة ويجب إنفاقه في مصارفه المستحقة؛ ولذلك لم يكن يغض الطرف عن عماله إذا شك في أماناتهم من الناحية المالية بوجه خاص لأنه كان يرى أن المحافظة على أموال الدولة الواجب الأول للحاكم.

شغل أبو جعفر وقته بمتابعة عماله على المدن والولايات، وكان يدقق في اختيارهم ويسند إليهم المهام، وينتدب للخراج والشرطة والقضاء من يراه أهلا للقيام بها، وكان ولاية البريد في الأفاق يكتبون إلى المنصور بما يحدث في الولايات من أحداث، حتى أسعار الغلال كانوا يطلعونه عليها وكذلك أحكام القضاء. وقد مكّنه هذا الأسلوب من أن يكون على بينة مما يحدث في ولايات دولته، وأن يحاسب ولايته إذا بدر منهم أي تقصير. ولم يكن المنصور قوي الرغبة في توسيع رقعة دولته ومد حدوده؛ لأنه كان يؤثر توطيد أركان الدولة والمحافظة عليها وحمايتها من العدوان والقتال والثورات الداخلية، لكنه اضطر إلى الدخول في منازعات وحروب مع الدولة البيزنطية حين بدأت بالعدوان وأغارت على بلاده، وقد توالى حملاته على البيزنطيين بعد أن استقرت أحوال دولته سنة (149هـ / 766م) حتى طلب إمبراطور الروم الصلح فأجابته المنصور إليه، لأنه لم يكن يقصد بغزو الدولة البيزنطية الغزو والتوسع بقدر إشعارهم بقوته حتى يكفوا عن التعرض لدولته.

على الرغم من الشدة الظاهرة في معاملة المنصور، وميله إلى التخلص من خصومه بأي وسيلة، فقد كان يقبل على لقاء العلماء الزاهدين ويرحب بهم ويفتح صدره لتقبل نقدهم ولو كان شديدا. وتمتلى كتب التاريخ والأدب بلقاءاته مع سفيان الثوري وعمر بن عبيد وابن أبي ذئب والأوزاعي وغيرهم. ويؤخذ عليه شططه في معاملة الإمامين الكبيرين: **أبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس**؛ لاعتقاده أنهما يتفقان مع خصومه من آل البيت العلوي. دامت خلافة أبي جعفر المنصور اثنين وعشرين عاما، نجح خلالها في تثبيت الدولة العباسية ووضع أساسها الراسخ الذي تمكن من الصمود خمسة قرون حتى سقطت أمام هجمات المغول. وبعد حياة مليئة بجلال الأعمال توفي الخليفة العباسي في (6 من ذي الحجة 158هـ / 7

<sup>1</sup> الليثي سميرة مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2000 م، ص 42.

<sup>2</sup> المرجع السابق، كرم ملحم كرم، أبو جعفر المنصور، ص 66.

من أكتوبر 755م) وهو محرم بالحج والعمرة، ودُفن في مقبرة المعلاة (بئر ميمون) في أعلى مكة المكرمة.

### المحاضرة الثانية: الخليفة محمد المهدي

( 158 - 169 هـ / 775 - 786 م )

لم يحظ الخليفة العباسي الثالث محمد المهدي بالشهرة اللازمة، فقد اشتهر والده أبو جعفر المنصور، كما اشتهر من جاء من أبنائه موسى المهدي ومن بعده هارون الرشيد، وصف المهدي واسمه أبو عبد الله محمد بن عبد الله، وأمه تسمى أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهل بن زيد الحميري، ولقب بالمهدي فقال ابن الأثير في كتاب (الكامل في التاريخ) كان المهدي أبيض طويلاً وقيل بإحدى عينيه نكتة بيضاء، بويع بالخلافة يوم وفاة أبيه أبو جعفر المنصور، وكان المنصور قد توفي في رحلة الحج، بينما كان المهدي في بغداد .

لتوليهِ الولاية العهد قصة هي أنه لم يكن في البداية ولي العهد، وذلك لأن أبا العباس السفاح قد عقد البيعة لأبي جعفر المنصور ثم لعيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس ابن أخي السفاح والمنصور، لكن لظروف غير معلومة تنازل عيسى ابن موسى لصالح محمد المهدي .

تقول كتب التاريخ إنه ما إن بويع بالخلافة حتى قام برد المظالم إلى أهلها وإنصاف المظلوم وكف الأذى عن الناس، وكان سخياً يكثر العطاء، إلا أنه يؤخذ عليه أنه كان يقوم بعزل ولاية وتولية آخرين بكثرة ودون سبب. وعمل على تحسين طريق الحج، وقام بعمل توسعات في الكعبة الشريفة وكذلك في المسجد النبوي ، أراد المهدي التكفير عما بدا على مظهر الخلافة من قتل وسفك دماء في عهدي عمه وأبيه ضد كلا من الأمويين والعلويين، فعمل على اكتساب مودة أهل الشام وقام بزيارتهم، وقام بتسوية الخلافات التي بين قبائل البادية في الشام ، وعمل على استرضاء أهالي الحجاز بعد أن عاملهم المنصور بشدة بفعل مساندتهم للعلويين، وضم عدداً من الجنود الحجازيين إلى حرسه الخاص ، وهذا كله أدى إلى صبغ عهد المهدي بصبغة الاستقرار والهدوء الداخلي<sup>1</sup>.

المهدي محمود السيرة محبباً إلى الرعية، حسن الخلق والخلق، جواداً، وكان يجلس للمظالم إلا حياء منهم لكفى، وفي عهده فتحت إربد من الهند وكثرت الفتوح بالروم كما بنى جامع الرصافة، استمر انتعاش بغداد في وقته وازدادت شهرتها واستقطبت المزيد من المهاجرين إليها من شتى الأعراق والأديان حتى يقال أنها كانت أكثر مدن العالم سكاناً في ذلك الوقت. ازداد نفوذ البرامكة في عصره، قال عنه الذهبي: "هو أول من عمل البريد من الحجاز إلى العراق وقد جد المهدي في تتبع الزنادقة وإبادتهم والبحث عنهم في الآفاق والقتل على التهمة وأمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين<sup>2</sup>

من الأحداث المهمة في حياة المهدي أنه في سنة 163 هـ وكما قال ابن الأثير في كتاب (الكامل في التاريخ): خرج المهدي لمحاربة الروم فعسكر بالبردان، وجمع العسكر من خراسان وغيرها، فاستخلف على بغداد ابنه الهادي واصطحب معه ابنه الرشيد، فعبر الفرات إلى حلب وجمع من بتلك الناحية من الزنادقة، فقتلهم ومزق كتبهم، ثم حاصروا حصن سمالوا، واستمر الحصار 38 يوماً حتى فتحه الله عليهم وفتحوا فتوحات كثيرة.

<sup>1</sup> المصدر السابق، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص 234.

<sup>2</sup> نفسه ، ص 274.

### **الوفاة:**

توفي المهدي قرب مدينة مندلي العراقية يوم الخميس 22 محرم 169 هـ الموافق 785/8/3م، وقال السيوطي: ساق المهدي خلف صيد ، فاقتحم الصيد خربة ، وتبعه الفرس فدق ظهره في بابها، فمات لوقته، وقيل مات مسموماً. وقال ابن الأثير: كانت خلافته عشر سنين وتوفي وهو ابن 43 سنة وصلى عليه ابنه الرشيد.

### **ال خليفة أبو محمد موسى الهادي:**

**(169 - 170 هـ / 786 - 787 م)**

موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. ولي الخلافة في شهر محرم عام (169 هجري / 785 ميلادي)، وعمره خمسة وعشرون عاماً ولم يل الخلافة من هو أصغر منه. وأمه أم ولد تدعى الخيزران.

ولاه أبوه العهد وهو في سن السادسة عشرة، كما ولاه قيادة الجيوش في المشرق. وقد فُكر المهدي بتقديم ابنه هارون عليه بفعل إيثاره إياه؛ ومشاركة الخيزران له في محبته، لولا أن المنية عاجلته. وكان لبعض أركان الدولة بعد وفاة الهادي الاتجاه نفسه. نشأ الهادي في محيط مُترف فظهر أثر ذلك في أخلاقه وتصرفاته ، كان قوي البنية يثب على الدابة وعليه درعان، وكان والده يدعوه (ريحانتي)، اتصف بالشهامة والخبرة المكتسبة بشؤون الملك وبالكرم، لكن كان فيه غلظة وشراسة وغيره من أمه وأخيه، كثير الميل للأدب والتاريخ فحصل فيهما ثقافة واسعة. وعرف عنه حبه للغناء؛ ففرب إبراهيم الموصلي، المغني العراقي المشهور وابنه إسحاق<sup>1</sup>.

لم تبقى السياسة السلمية التي اتخذها المهدي مع الطالبين طويلاً، إذ انتهت بوفاته. فقد اشتد الهادي على الطالبين وقسا عليهم، فمنع الصلات وحلقة الأرزاق عنهم، وراح يتجسس عليهم وأمر ولاته بمراقبة تحركاتهم والتضييق عليه ، ويبدو أن الخليفة خشي من خروجهم على حكمه كما كان لطباعه ونفسيته تأثير في بلورة سياسته العدائية تجاههم، فأضحى الطالبيون في الحجاز في وضع سيء، فذهبوا إلى كبيرهم ومعلمهم الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وحثوه على الخروج للخلاص مما هم فيه من الشدة والرعب. وصادف أن قدم إلى المدينة عدد كبير من العراق لحضور موسم الحج، فاتصل الحسين بهم ، وعرض عليهم وضع الطالبين المتردي، فبايعوه وواعدوه أن يكون موعد الخروج موسم الحج القادم. وانتفقوا أن يكون شعارهم (من رأى الجمل الأحمر)<sup>2</sup>.

ويبدو أن الأحداث سارت سريعة بعد ذلك، مما دعا الزعماء الطالبين إلى التعجيل بالخروج، واقتنع الحسين بن علي بضرورة تقديم الموعد، بعدما شعر بتزايد الخطر على الجماعة الطالبية. وأعلن موعد الخروج في فجر يوم الثالث عشر من شهر ذي العقدة عام (169 هجري) الخامس عشر من شهر (786 ميلادي) فاستولى على المدينة واتخذ من المسجد النبوي قاعدة انطلاق فبايعه بعض أهلها، في حين لم يجد تجاوباً عند أكثرهم ، ويبدو أن هؤلاء خشوا بطش السلطة بفعل صلابة الخليفة، كما أزجعتهم تدابير الحسين كجعله الحرم النبوي الأمن قاعدة انطلاق ومركزاً يحتمي به، وهذا لا يتفق مع

<sup>1</sup> عبد الرحمن بدوي ، محمد المهدي و الدولة العباسية ، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، 1965م ، ص 34

<sup>2</sup> المصدر السابق ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ص 227.

عواطفهم وتعظيمهم لمسجد الرسول وتقديسهم له. أقام الحسين مدة أحد عشر يوماً بعد خروجه. ثم قصد مكة ليستولي عليها وعسكر في وادي فخ وهو أحد ضواحيها، لكن المكيين لم يتجاوبوا مع دعوته<sup>1</sup>.

وصل إلى المنطقة جيش عباسي في هذا الوقت، فهاجم معسكره في فخ في الثامن من شهر ذي الحجة وقام بالقضاء على الحسين وأتباعه. وسُمي الحسين بـ (قتيل فخ) أو (صاحب فخ). وتلاشت آمال الذين وضعوا كل تطلعاتهم في هذه الحركة. وتفرق من نجا منهم في الأمصار مستخفين، كان من بينهم إدريس ويحيى ابنا عبد الله بن الحسن، فذهب الأول إلى المغرب وأسس دولة الأدارسة، في حين ذهب الثاني إلى بلاد الديلم في المشرق، ورث الهادي عن أبيه كراهيته للزنادقة، واقتدى بسياسته في تتبعهم والتنكيل بهم فقتل منهم جماعة من بينهم يزيدان بن باذان وعلي بن يقطين الذي روي عنه أثناء حجه أنه نظر إلى الناس يهرولون في الطواف فقال: (ما أشبههم إلا ببقر تدوس البيدر)<sup>2</sup>.

### **وفاة الهادي:**

عزم الهادي على خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد والبيعة لابنه جعفر، وكان لا يزال طفلاً، فحاول إقناعه حتى يخلع نفسه وكاد أن يفعل، لولا أن ثبته يحيى بن خالد البرمكي. عندئذ لجأ الهادي إلى استعمال أسلوب الشدة والمضايقة مما دفع هارون إلى الابتعاد عن العاصمة هرباً، وظل بعيداً عنها حتى توفي الهادي وبويع له.

لم تطل خلافة الهادي، فقد توفي في بغداد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول عام 170 هجري شهر ماي عام 786 ميلادي)، بعد أن حكم عاماً وشهرين واثنين وعشرين يوماً. والراجح أنه كان يشكو من قرحة في معدته، لكن ما وقع داخل الأسرة من خلافات، حملت بعض المؤرخين على القول بأنه مات خنقاً وهو نائم من قبل جواري أمه وبايعاز منها.

### **المحاضرة الثالثة : الحليفة هارون الرشيد**

**(170 - 193 هـ / 787 - 809 م)**

نشأ الرشيد في بيت ملك، وأعد ليتولى المناصب القيادية في الخلافة، وعهد به أبوه الخليفة "المهدي بن جعفر المنصور" إلى من يقوم على أمره تهيئاً وتعليماً وتثقيفاً، وحسبك أن يكون من والمفضل الضبي، وهما من هما علماً ولغة وأدباً، حتى إذا اشتد عوده واستقام أمره، ألقى به أبوه في ميادين الجهاد، وجعل حوله القادة الأكفاء، يتأسى بهم، ويتعلم من تجاربهم وخبراتهم، فخرج في عام (165 هـ / 781 م) على رأس حملة عسكرية ضد الروم، وعاد محملاً بأكاليل النصر، فكوفئ على ذلك بأن اختاره أبوه ولياً ثانياً للعهد بعد أخيه موسى الهادي.

كانت الفترة التي سبقت خلافته يحوطه في أثنائها عدد من الشخصيات السياسية والعسكرية، من أمثال "يحيى بن خالد البرمكي"، و"الربيع بن يونس"، و"يزيد بن مزيد الشيباني" و"الحسن بن قحطبة

<sup>1</sup> محمد عبد الله إمام ، الدولة العباسية نشأتها و تطورها ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي في بيروت لبنان ، 2008 م ، ص 55.

<sup>2</sup> محمد علي صلابي ، الخلفاء العباسيون ، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين بيروت لبنان ، 1991 م ، ص 64.

الطائي"، و"يزيد بن أسيد السلمي"، وهذه الكوكبة من الأعلام كانت أركان دولته حين آلت إليه الخلافة، ونهضوا معه بدولته حتى بلغت ما بلغت من التآلق والازدهار. تولّيه الخلافة تمت البيعة للرشد بالخلافة في (14 من شهر ربيع الأول 170هـ = 14 من سبتمبر 786م)، بعد وفاة أخيه موسى الهادي، وبدأ عصر زاهر كان واسطة العقد في تاريخ الدولة العباسية التي دامت أكثر من خمسة قرون، ارتقت فيه العلوم، وسمت الفنون والآداب، وعمّ الرخاء ربوع الدولة<sup>1</sup>.

الدولة العباسية حين آلت خلافتها إليه أصبحت مترامية الأطراف تمتد من وسط آسيا حتى المحيط الأطلنطي، مختلفة البيئات، متعددة العادات والتقاليد، معرضة لظهور الفتن والثورات، تحتاج إلى قيادة حكيمة وحازمة يفرض سلطانها الأمن والسلام، وتنهض سياستها بالبلاد، وكان الرشيد أهلاً لهذه المهمة الصعبة في وقت كانت فيه وسائل الاتصال شاقة، ومتابعة الأمور مجهدّة، وساعده على إنجاز مهمته أنه أحاط نفسه بكبار القادة والرجال من ذوي القدرة والكفاءة، ويزداد إعجابك بالرشيد حين تعلم أنه أمسك بزمام هذه الدولة العظيمة وهو في نحو الخامسة والعشرين من عمره، فأخذ بيدها إلى ما أبهر الناس من مجدها وقوتها وازدهار حضارتها. استقرار الدولة ولم تكن الفترة التي قضاها الرشيد في خلافة الدولة العباسية هادئة ناعمة، وإنما كانت مليئة بجلال الأعمال في داخل الدولة وخارجها، ولم يكن الرشيد بالمنصرف إلى اللهو واللعب المنشغل عن دولته العظيمة إلى المتع والملذات، وإنما كان "يحج سنة ويغزو كذلك سنة"<sup>2</sup>.

استهل الرشيد عهده بأن قلّد "يحيى بن خالد البرمكي" الوزارة، وكان من أكفأ الرجال وأمهرهم، وفوّض إليه أمور دولته، فنهض بأعباء الدولة، وضاعف من ماليّتها، وبلغت أموال الخراج الذروة، وكان أعلى ما عرفته الدولة الإسلامية من خراج، وقدره بعض المؤرخين بنحو 400 مليون درهم، وكان يدخل خزينة الدولة بعد أن تقضي جميع الأقاليم الإسلامية حاجتها. وكانت هذه الأموال تحصل بطريقة شرعية، لا ظلم فيها ولا اعتداء على الحقوق، بعد أن وضع القاضي "أبو يوسف" نظاماً شاملاً للخراج باعتباره واحداً من أهم موارد الدولة، يتفق مع مبادئ الشرع الحنيف، وذلك في كتابه الخراج<sup>3</sup>.

كان الرشيد حين تولّى الخلافة يرغب في تخفيف بعض الأعباء المالية عن الرعية، وإقامة العدل، ورد المظالم، فوضع له "أبو يوسف" هذا الكتاب استجابة لرغبته، وكان لهذا الفائض المالي أثره في انتعاش الحياة الاقتصادية، وزيادة العمران، وازدهار العلوم، والفنون، وتمتع الناس بالرخاء والرفاهية. وأنفقت هذه الأموال في النهوض بالدولة، وتنافس كبار رجال الدولة في إقامة المشروعات كحفر الترع والأنهار، وبناء الحياض، وتشبيد المساجد، وإقامة القصور، وتعبيد الطرق، وكان لبغداد نصيب وافر من العناية والاهتمام من قبل الخليفة الرشيد وكبار رجال دولته، حتى بلغت في عهده قمة مجدها وتآلقها؛ فانتسح عمرانها، وزاد عدد سكانها حتى بلغ نحو مليون نسمة، وبُنيت فيها القصور الفخمة، والأبنية الرائعة التي امتدت على جانبي دجلة، وأصبحت بغداد من اتساعها كأنها مدن متلاصقة، وصارت أكبر مركز للتجارة في الشرق، حيث كانت تأتيها البضائع من كل مكان. وغدت بغداد قبلة طلاب العلم من جميع البلاد، يرحلون إليها حيث كبار الفقهاء والمحدثين والقراء واللغويين، وكانت المساجد الجامعة تحتضن

<sup>1</sup> محمد الصواف ، حياة هارون الرشيد، الطبعة الثالثة ،دار العربية للطباعة و النشر بيروت ، لبنان ، 1986 م ، ص56.

<sup>2</sup> صالح عبد القدوس ، هارون الرشيد وعصره ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1977 م ، ص32 .

<sup>3</sup> المرجع السابق ، محمد الصواف حياة هارون الرشيد ، ص 60.

دروسهم وحلقاتهم العلمية التي كان كثير منها أشبه بالمدارس العليا، من حيث غزارة العلم، ودقة التخصص، وحرية الرأس والمناقشة، وثراء الجدل والحوار<sup>1</sup>.

كما جذبت المدينة الأطباء والمهندسين وسائر الصناع. وكان الرشيد وكبار رجال دولته يقفون وراء هذه النهضة، يصلون أهل العلم والدين بالصلوات الواسعة، ويبدلون لهم الأموال تشجيعاً لهم، وكان الرشيد نفسه يميل إلى أهل الأدب والفقه والعلم، ويتواضع لهم حتى إنه كان يصب الماء في مجالسه على أيديهم بعد الأكل.

أنشأ الرشيد **“بيت الحكمة”** وزودها بأعداد كبيرة من الكتب والمؤلفات من مختلف بقاع الأرض كالهند وفارس والأناضول واليونان، وكانت تضم غرفاً عديدة تمتد بينها أروقة طويلة، وخصصت بعضها للكتب، وبعضها للمحاضرات، وبعضها الآخر للناسخين والمترجمين والمجلدين، كانت شهرة هارون الرشيد قبل الخلافة تعود إلى حروبه وجهاده مع الروم، فلما ولي الخلافة استمرت الحروب بينهما، وأصبحت تقوم كل عام تقريباً، قام الرشيد بتنظيم الثغور المطلة على بلاد الروم على نحو لم يعرف من قبل، وعمرها بالجند وزاد في تحصيناتها، وجعلها منطقة واحدة، وعاصمتها أنطاكية، وأطلق عليها العواصم، لتكون الخط الثاني للثغور الملاصقة للروم، ولأهميتها كان لا يولي عليها إلا كبار القادة أو أقرب الأقربين إليه، مثل **“عبد الملك بن صالح”** ابن عم أبي جعفر المنصور أو ابنه **“المعتصم”**. وعمر الرشيد بعض مدن الثغور، وأحاط كثيراً منها بالقلاع والحصون والأسوار والأبواب الحديدية، مثل: قلطية، وكان الروم قد هدموها وأحرقوها فأعاد الرشيد بناءها، وأقام بها حامية كبيرة، وأنشأ الرشيد مدينة جديدة عرفت باسم **“الهارونية”** على الثغور<sup>2</sup>.

أعاد الرشيد إلى الأسطول الإسلامي نشاطه وحيويته، ليواصل ويدعم جهاده مع الروم ويسيطر على الملاحة في البحر المتوسط، وأقام داراً لصناعة السفن، وفكر في ربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط، وعاد المسلمون إلى غزو سواحل بحر الشام ومصر، ففتحوا بعض الجزر واتخذوها قاعدة لهم، مثلما كان الحال من قبل، فأعادوا فتح **“رودس” سنة (175هـ / 791م)**، وأغاروا على أقریطش **“كريت”** وقبرص **سنة (190هـ / 806م)**<sup>3</sup>.

اضطرت دولة الروم أمام ضربات الرشيد المتلاحقة إلى طلب الهدنة والمصالحة، فعقدت **“إيريني”** ملكة الروم صلحاً مع الرشيد، مقابل دفع الجزية السنوية له في **سنة (181هـ / 797م)**، وظلت المعاهدة سارية حتى نقضها إمبراطور الروم، الذي خلف إيريني في **سنة (186هـ / 802م)**، وكتب إلى هارون: **“من نفقور ملك الروم إلى ملك العرب، أما بعد فإن الملكة إيرين التي كانت قبلي أقامتك مقام الأخ، فحملت إليك من أموالها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، واقتد نفسك، وإلا فالحرب بيننا وبينك”**.

<sup>1</sup> المصدر السابق، الطبري، تاريخ الملوك و الرسل، ص ص 421، 464.

<sup>2</sup> عبد الرحمن الحلبي، الخلفاء العباسيون (هارون الرشيد)، الطبعة الثالثة، دار المعارف الرياض المملكة العربية السعودية، 1988م، ص 76.

<sup>3</sup> سليمان الطويل، هارون الرشيد الخليفة الراشد وعصره، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي بيروت لبنان، 1997، ص 45.

فلما قرأ هارون هذه الرسالة ثارت ثائرتة، وغضب غضباً شديداً، وكتب على ظهر رسالة الإمبراطور: “من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام”.

هارون بنفسه في (187 هـ / 803م)، حتى وصل “هرقلة” وهي مدينة بالقرب من القسطنطينية، واضطر نقفور إلى الصلح والموادة، وحمل مال الجزية إلى الخليفة كما كانت تفعل “إيريني” من قبل، ولكنه نقض المعاهدة بعد عودة الرشيد، فعاد الرشيد إلى قتاله في عام (188 هـ / 804م) وهزمه هزيمة منكرة، وقتل من جيشه أربعين ألفاً، وجرح نقفور نفسه، وقبل الموادة، وفي العام التالي (189 هـ / 805م) حدث الفداء بين المسلمين والروم، ولم يبق مسلم في الأسر، فابتهج الناس لذلك. غير أن أهم غزوات الرشيد ضد الروم كانت في سنة (190 هـ / 806م)، حين قاد جيشاً ضخماً عدته 135 ألف جندي ضد نقفور الذي هاجم حدود الدولة العباسية، فاستولى المسلمون على حصون كثيرة، كانت قد فقدت من أيام الدولة الأموية، مثل “طوانة” بئر “المصيصة”، وحاصر “هرقلة” وضربها بالمنجنيق، حتى استسلمت<sup>1</sup>.

عاد نقفور إلى طلب الهدنة، وخاطبه بأمير المؤمنين، ودفع الجزية عن نفسه وقادته وسائر أهل بلده، واتفق على ألا يعمر هرقلة مرة أخرى. بلاط الرشيد محط أنظار العالم ذاع صيت الرشيد وطبق الآفاق ذكره، وأرسلت بلاد الهند والصين وأوروبا رسلها إلى بلاطه تخطب وده، وتطلب صداقته، وكانت سفارة “شارلمان” ملك الفرنجة من أشهر تلك السفارات، وجاءت لتوثيق العلاقات بين الدولتين، وذلك في سنة (183 هـ / 779م)؛ فأحسن الرشيد استقبال الوفد، وأرسل معهم عند عودتهم هدايا قيمة، كانت تتألف من حيوانات نادرة، منها فيل عظيم، اعتبر في أوروبا من الغرائب، وأقمشة فاخرة و عطور، وشمعدانات، وساعة كبيرة من البرونز المطلي بالذهب مصنوعة في بغداد، وحينما تدق ساعة الظهيرة، يخرج منها اثنا عشر فارساً من اثنتي عشرة نافذة تغلق من خلفهم، وقد تملك العجب شارلمان وحاشيته من رؤية هذه الساعة العجيبة، وظنوها من أمور السحر<sup>2</sup>.

الرشيد وأعمال الحج نظم العباسيون طرق الوصول إلى الحجاز، فبنوا المنازل والقصور على طول الطريق إلى مكة، طلباً لراحة الحجاج، وغني الرشيد ببناء السرايا وفرشها بالأثاث وزودها بأنواع الطعام والشراب، وبارته زوجته “زبيدة” في إقامة الأعمال التي تيسر على الحجيج حياتهم ومعيشتهم، فعملت على إيصال الماء إلى مكة من عين تبعد عن مكة بنحو ثلاثين ميلاً، وحددت معالم الطريق بالأميال، ليعرف الحجاج المسافات التي قطعوها، وحفرت على طولها الآبار والعيون.

وفاة الرشيد كان الرشيد على غير ما تصوره بعض كتب الأدب، دينا محافظاً على التكاليف الشرعية، وصفه مؤرخوه أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا، ويتصدق من ماله الخاص، ولا يتخلف عن الحج إلا إذا كان مشغولاً بالغزو والجهاد، وكان إذا حج صحبه الفقهاء والمحدثون. وظل عهده مزاجاً بين جهاد وحج، حتى إذا جاء عام (192 هـ / 808م) فخرج إلى “خرسان” لإخماد بعض الفتن والثورات التي اشتعلت ضد الدولة، فلما بلغ مدينة “طوس” اشتدت به العلة، وتوفي في (3 من جمادى

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، ص 50 .

<sup>2</sup> مصطفى السباعي ، حياة هارون الرشيد خليفة العرب ، الطبعة الأولى ، دار المعارف القاهرة مصر ، 1981م، ص 113

الآخر 193 هـ / 4 من إبريل 809 م) بعد أن قضى في الخلافة أكثر من ثلاث وعشرين سنة، عدت العصر الذهبي للدولة العباسية.

### المحاضرة الرابعة

#### خلافة الأمين و المأمون:

(193 - 198 هـ / 809 - 814 م)

(198 - 218 هـ / 814 - 833 م)

الرشيد أعلن ولاية العهد للأمين في سنة 175 هجرية، وسنّ الأمين فيما قيل وقتنّذ خمس سنين، ثم أشرك معه المأمون في ولاية العهد سنة 183 هجرية، ثم استوثق لكليهما من أخيه سنة 186 هجرية، وهو عام حج الرشيد، بأن استكتب كلاً منهما عهداً بما عليه وله قبل الآخر، وعلّق العهدين بالكعبة.

يؤخذ من نصوص العهدين وما تبادل بعد ذلك من الرسائل بين الأمين والمأمون، مما سنورد لكم بعضه لما تضمنته؛ ، ويؤخذ منها أن خراسان ونواحيها إلى الري كانت تحت إمرة المأمون يتصرف في جميع شؤونها من سياسية وحربية واقتصادية وقضائية تصرفاً تاماً، لا تربطه بحاضرة الخلافة إلا رابطة الدعاء للخليفة، وقد صارت إليه إمرة هذه النواحي في عهد الرشيد، وهي من الأمور التي أخذ الأمين بالوفاء بها فيما أخذ به من عهود ومواثيق.

كان الرشيد قد أشرك في سنة 188 هجرية ولده القاسم مع أخويه في ولاية العهد، وجعل من نصيبه العمل على الشام وقنسرين والعواصم والثغور، كانت الأمور جارية مجراها الطبيعي آخر أيام الرشيد، ثم شطراً كبيراً من السنة الأولى من خلافة الأمين، إلا ما كان من أشياء طوى عليها المأمون كشحاً ذربة منه وسياسة، وحصافة وكياسة، وتريئاً وتعقلاً، وحزامة وتمهلاً، ولم تنقض السنة الأولى من خلافة الأمين حتى كانت الدسائس قد فعلت فعلها، وحتى كانت المنافسة العنيفة بينهما قد بلغت غايتها، وأخذ كل من الأخوين يحذر أخاه ويتقيه، وامتلات الصدور حفاظ وإحنًا، ولم يبق إلا أن تلمس فتنفجر<sup>1</sup>.

#### بيعة الأمين وخلافته :

لما خرج رافع بن الليث بن نصر بن سيار بخراسان، وكثف أنصاره، وقويت شكوته، وعظم خطره، رأى الرشيد أن يخرج إليه بنفسه لمحاربتة، وتسكين حبل الأمن الذي اضطرب في تلك النواحي، فأصابه من مشاق السفر وتغير الطقس وشدة التفكير ما أعلّ صحته، وبدا له من ظروف الأحوال ما حمله على تجديد البيعة للمأمون الذي كان بمرو، وأوصى بأن يصير ما معه من قواد وجند وسلاح ومال إلى جانبه، وأخذ المواثيق على من معه بأن يؤفوا بهذه الوصية.

ثم أخذت تشتدّ به العلة حتى وافته مَنِيَّتُهُ بطوس سنة 193 هجرية، وبويع للأمين بالخلافة في عسكر الرشيد، ووصله نعي الرشيد في بغداد يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة، وقيل: ليلة النصف من هذا الشهر، فكتم الخبر بقية يومه وليلته، ثم أظهره يوم الجمعة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الله بن خالد لرواحي، الخليفة العباسي الأمين (حياته وعصره)، الطبعة الأولى، دار النفائس الكويت، 2011 م، ص 47.

<sup>2</sup> محمد بن ناصر المسند، الخليفة العباسي الأمين عصره، الطبعة الأولى، دار المملكة العربية السعودية، 2003 م، ص 120، 122.

يحدثنا التاريخ أن الأمين لما بلغه اشتداد المرض على الرشيد وتوقع وفاته بعث بكر بن المعتمر رسولاً إلى مقر الخليفة ليوافيه بالأخبار كل يوم، وكتب معه كتباً، وجعلها في قوائم صناديق منقورة ألبسها جلد البقر ليخفي أمرها، وكلفه ألا يظهر أحداً على شيء من أمره وما توجه فيه ولو قُتل، حتى إذا نفذ أمر الله في الرشيد دفع إلى كل من له كتاب كتابه، فلما وصل رسول الأمين راب الرشيد قدومه، فسأله عما جاء له، فلمّا لم يجد في جوابه ما يزيل ريبه أمر بتفتيشه وحبسه، لبث رسول الأمين في الحبس شهراً؛ إذ تاريخ الكتب التي يحملها إلى من أرسلت إليهم شوال سنة 192هـ، ووفاة الرشيد كانت في جمادى الآخرة سنة 193هـ، ثم بدا للرشيد أن يحمل بكرًا على الإقرار، فكلف الفضل بن الربيع ذلك، وأن يهدده بالموت إذا لم يقَر، وقد حالت وفاة الرشيد في ذلك اليوم دون تمام هذا الإقرار، ثم لما وثق الرسول من وفاة الرشيد دفع إلى كل كتابه.

قد أثبتنا لك من هذه الكتابات كتابه إلى أخيه المأمون وكتابه إلى أخيه صالح، ؛ لما لهما من خطر في موضوع النزاع، فإنهما يدلان على أن الأمين لم يكن لينكت ما عقد من عهود ومواثيق، وإنما بطانة السوء هي التي زينت له أن يفعل ما فعل، فراجعهما ثمة، وتأمل طويلاً فيما السوء من وخيم العواقب بين الأشقاء والزعماء والأمراء، وما تجره على البلاد من انتشار العقد وتشيت الشمل، وتشعث الألفة، وفرقة الجماعة، وسريان الفتن، وذيوع الفوضى، وانتشار الاضطرابات، واندلاع نيران الثورات، ومن ترجيح كفة الأشرار على الأبرار، إلى غير ذلك من شتى النتائج السيئة والعواقب المهلكة التي سنحدثك عنها، وستراها واضحة جلية<sup>1</sup>.

أما المأمون، بعد أن انتهى إليه بمرور خبر نكت القوم للعهد التي أخذت عليهم وفرارهم إلى بغداد بما كان الرشيد أوصى بأن يكون له من جند ومال وسلاح، فقد اجتمعت كلمة الرواة على حسن تيقظه وسرعة مبادرته لشتى أموره، وأنه شد لها حزامه، وحسر لها عن ساقه، ويحدثنا التاريخ أنه قد جمع من معه من قواد أبيه وأخبرهم الخبر وشاورهم في الأمر، فأشاروا عليه أن يلحق القوم في ألفي فارس ويحول بينهم وبين ما أرادوا.

لكن المأمون عمل بمشورة الفضل بن سهل الذي كان يثق به وبكفائيته، ويؤمن بكياسته وحسن سياسته، ويقتنع بثقوب بصره وصدق نظره، كذلك كانت حال الفضل بن سهل في موقفه مع عبد الله المأمون، ومهما كانت صورة المأمون التي صورها لنا التاريخ بأنه المغلوب على أمره في النزاع الذي نشب بين الأخوين، وأن الأمين هو الناكث الغادر، ومهما كانت القلوب الإنسانية تحنو على المظلوم، وتعطف على المغلوب، مهما كان كل ذلك، مما يجعلنا نستسيغ تصرفات الفضل بن سهل مع المأمون، بل مما يدفعنا إلى الافتتان بها، صدقوا في أن المأمون تواترت كتبه إلى أخيه محمد الأمين بالتعظيم والهدايا إليه من طرف خراسان، من المتاع والأنية والمسك والدواب والسلاح، حتى أوائل سنة أربع وتسعين ومائة التي عزل فيها الأمين أخاه القاسم عما كان أبوه وولاه من عمل قنشرين والشام والعواصم والثغور، وولّى مكانه خزيمة بن حازم، والتي أمر فيها بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالإمرة، وحتى مكر كل واحد منهما بصاحبه وظهر بينهما الفساد إذا صدق الرواة<sup>2</sup>.

قال ذلك ابن الربيع وضمّ إلى رأيه معه علي بن عيسى بن ماهان والسندي وغيرهما ممن بحضرته ومن المعقول أن تقترض أن الفضل مضى في الإيقاع على هذه النعمة ثنّياً بعد ثني، ومرة إثر أخرى، وقدح في ذلك قريحته، واستخدم شتى وسائل أمثاله ونظرائه حتى أزال محمداً عن رأيه، وقد ذكر المؤرخون أن أول ما بدأ به محمد عن رأي الفضل بن الربيع فيما دبر من ذلك، أن كتب إلى جميع العمال في الأمصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالإمرة بعد الدعاء له، وللمأمون والقاسم بن الرشيد.

<sup>1</sup> سالم السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، (الجزء الثالث)، مؤسسة شباب الجامعة الطبعة 1993 م، ص 197.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 206.

### **انتصار الجيوش المأمونية :**

وقد كتب الله للجيوش المأمونية النصر على الجيوش الأمينية ، و نترك هنا الكلمة لطاهر بن الحسين، قائد المأمون، فإنه ينبيء خليفته عن ذلك الانتصار بقوله: «أطال الله بقاءك، وكبت أعداءك، وجعل من يشنؤك فداءك، كتبت إليك ورأس علي بن عيسى بين يدي، وخاتمه في أصبعي، والحمد لله رب العالمين».

وذكر بعض أهل خراسان أن المأمون لما أتاه كتاب طاهر بخبر علي بن عيسى بن ماهان، وما نالته جيوشه من فوز وانتصار، وما أوقع الله بجند خصمه من فشل وانكسار، قعد للناس، فكانوا يدخلون عليه فيهنئونه ويدعون له بدوام العز والنصر، وأن المأمون في ذلك اليوم أعلن خلع محمد، كما أعلن خلافته في جميع كور خراسان وما يليها، وسرَّ بذلك أهل خراسان وخطبت الخطباء<sup>1</sup>.

ولكننا نقرر أيضاً أن صلة ابن ماهان بالأمين وبدولة الأمين وبابن الربيع كانت مما يحتم على الأمين لا محالة تقليده أمر جيوشه، وتفضيله على غيره من القادة .

### **خلافة المأمون :**

**(198-218 هـ - 814-833م)**

أصبح الأمر في المشرق والمغرب تحت سلطان المأمون وهو سابع خلفاء بني العباس، لقد كان المأمون في ذلك الوقت والياً من قبل والده على "خراسان" وكان يقيم في عاصمتها "مرو"، وكان من الطبيعي أن يفضلها بعد أن انفرد بالخلافة |، إنها تضم أنصاره ومؤيديه، فهو هناك في أمان واطمئنان، وكان الفرس يودون أن يبقى "بمرو" لتكون عاصمة الخلافة، ولكنها بعيدة عن مركز الدولة، وهي أكثر اتجاهاً نحو الشرق، مما جعل سيطرتها على العرب ضعيفة، بل إن أهل بغداد أنفسهم دخلوا في عدة ثورات ضد المأمون؛ حتى إنهم خلعوه أخيراً، وبايعوا بدلاً منه عمه إبراهيم بن المهدي، اضطر المأمون أخيراً أن يذهب إلى بغداد وأن يترك "مرو" للقضاء على هذه التحركات في مهده، لإحسان إلى الشيعة: كان معظم أعوان المأمون من الفرس، ومعظمهم من الشيعة، ولهذا اضطر المأمون لميل إلى الشيعة وكسبهم إلى جانبه، فأرسل إلى زعماء العلويين أن يوافوه في عاصمته (وكانت مرو في ذلك الوقت)، فلما جاءوه أحسن استقبالهم، وأكرم وفادتهم، وما لبث بعد قليل أن عهد بولاية العهد إلى "علي الرضا" وهي طبعا خطوة جريئة؛ لأن فيها نقلاً للخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي<sup>2</sup>

لم يكتف بهذا، بل غير الشعار من السواد وهو شعار العباسيين إلى الخضرة وهي شعار العلويين ورغم اعتراض أقاربه من العباسيين، فإن المأمون كان مصراً على هذا الأمر، إذ كان يعتقد أن ذلك من بر علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، وجاءت عمه أبيه زينب بنت سليمان بن علي، وكانت موضع تعظيم العباسيين وإجلالهم، وهي من جيل المنصور، وسألته: ما الذي دعاك إلى نقل الخلافة من بيتك إلى بيت علي؟ فقال: يا عمه، إنني رأيت علياً حين ولي الخلافة أحسن إلى بني العباس، وما رأيت أحداً من أهل بيتي حين أفضى الأمر إليهم (وصل إليهم) كافاه على فعله، فأحببت أن أكافئه على إحسانه. فقالت: يا أمير المؤمنين إنك على برّ بني عليّ والأمر فيك، أقدر منك على برهم، والأمر فيهم. ولكن لم يلبث "علي الرضا" أن مات وكان ذلك في سنة 203هـ / 819م، وعلى كل حال لقد استطاع

<sup>1</sup> محمد عبد العزيز الشويكي ، الخليفة العباسي المأمون حياته و عصره ، الطبعة الأولى ، دار الرشد الرياض المملكة العربية السعودية ، 1984 م ، ص 175 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 182 .

المأمون ببيعة "على الرضا" أن يقوى من سلطانه؛ لأنه بهذه البيعة أمن جانب العلويين. ولكن قامت ضد الخليفة المأمون ثورات عديدة اختلفت في مدى عنفها وشدتها، واستطاع القضاء عليها جميعاً<sup>1</sup>.

### **ثورة مصر:**

كان أخطر هذه الثورات جميعاً ثورة مصر؛ ذلك أن جند مصر كانوا قد اشتركوا في خلافات الأمين والمأمون كل فريق في جانب، وبعد أن انتهى الخلاف بفوز المأمون، ظل الخلاف قائماً بين جند مصر، وأصبح موضع الخلاف التنافس على خيرات مصر، فكان الجند يجمعون الخراج لا يرسل للخليفة، بل ليحتفظوا به لأنفسهم، قد قامت جيوش المأمون كثيراً بمحاربتهم مع أهل مصر الذين شاركوا في هذه الثورات، ولكن هذه الثورات ما لبثت أن أشعلت من جديد حتى أرسل إليهم جيشاً ضخماً، فاستطاع القضاء على الثورة نهائياً، كما تمكن قائده "ظاهر بن الحسين" من القضاء على ثورات العرب أنصار الأمين، وهكذا سيطر على الدولة سكون وهدوء.

كان المأمون يكتب إلى عماله على خراسان في غزو من لم يكن على الطاعة والإسلام من أهل ما وراء النهر، ولم يغفل المأمون عن قتال الروم، بل غزاهم أكثر من مرة، وخرج بنفسه على رأس الجيوش الإسلامية لغزو الروم سنة 215هـ/830م، فافتتح حصن "قرة" وفتح حصوناً أخرى من بلادهم، ثم رحل عنها، وعاود غزو الروم في سنة 216هـ، ففتح "هرقلة" ثم وجه قواده فافتتحوا مدناً كبيرة وحصوناً، وأدخلوا الرعب في قلوب الرومان، ثم عاد إلى دمشق، ولما غدر الروم ببعض البلاد الإسلامية غزاهم المأمون للمرة الثالثة وللعام الثالث على التوالي سنة 217هـ، فاضطر الروم تحت وطأة الهزيمة إلى طلب الصلح<sup>2</sup>.

يرحم الله المأمون، لقد كان عصره من أزهى عصور الثقافة العربية أخلاق المأمون: كان يقول: أنا والله أستلذ العفو حتى أخاف ألا أؤجر عليه، ولو عرف الناس مقدار محبتي للعفو؛ لتقربوا إلى بالذنوب! وقال: إذا أصلح الملك مجلسه، واختار من يجالسه؛ صلح ملكه كله. ورفع إليه أهل الكوفة مظلمة يشكون فيها عاملاً؛ فوقع: عيني تراكم، وقلبي يرعاك، وأنا مولّ عليكم ثقتي ورضاكم.

كتب إلى علي بن هشام أحد عماله، وقد شكاه غريم له: ليس من المروءة أن تكون آنيك من ذهب وفضة ويكون غريمك عاريًا، وجارك طاويًا. وهكذا كان المأمون.. حتى لقد وصفه الواصفون بأنه من أفضل رجال بني العباس حزمًا وعزمًا وحلمًا وعلماً ورأيًا ودهاءً، وقد سمع الحديث عن عدد كبير من المحدثين، وبرع في الفقه واللغة العربية والتاريخ، وكان حافظاً للقرآن الكريم.

<sup>1</sup> / محمد جلال كوشا، الخلفاء العباسيون المأمون، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي بيروت لبنان، 1997 م، ص 96.

<sup>2</sup> المرجع السابق، سالم السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، ص 174.

النهضة العلمية جاء في كتاب قصة الحضارة: أنه أرسل إلى القسطنطينية وغيرها من المدن الرومانية يطلب أن يمدوه بالكتب اليونانية، خاصة كتب الطب والعلوم الرياضية، وعندما وصلت هذه الكتب إلى أيدي المسلمين قاموا بترجمتها وفحصها ودراستها، وأنشأ المأمون في بغداد "بيت الحكمة" سنة 214هـ/829م، وهو مجمع علمي، ومكتبة عامة، ومرصد فلكي، وأقام فيه طائفة من المترجمين، وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال، فاستفاد المسلمون من هذه الكتب العلمية، ثم ألفوا وابتكروا في كافة العلوم، التي أسهمت في نهضة أوروبا يوم أن احتكت بالعرب في الحروب الصليبية وغيرها<sup>1</sup>.

كان للمدارس التي فتحتها المأمون في جميع النواحي والأقاليم أثرها في نهضة علمية مباركة. إلا أن الاطلاع على بعض فلسفات الأمم الأخرى قد جعل العقل يجتهد في أمور خارج حدوده وتفكيره، ومن هنا نشأ الفكر الاعتزالي الذي يُعَلَى من قيمة العقل، ويجعله حكمًا على النص دون حدود أو قيود. الإسلام قد رفع من العقل، لكنه حدد له حدودًا يعمل فيها لقد سمح المأمون لأولئك الذين اعتمدوا على العقل والمنطق في كل شيء بالتعبير عن آرائهم، ومعتقداتهم، ونشر مبادئهم من غير أن يتقيدوا بقيد أو يقفوا عند حد، فكان هذا من سوءاته التي أحدثت بين علماء المسلمين فتنة دامت تسع عشرة سنة، إلى أن شاء الله تعالى لتلك الفتنة أن تخدم، ولقد وصف الإمام السيوطي المأمون بقوله: "إنه كان من أفضل رجال بني العباس لولا ما أتاه من محنة الناس". وانتقل المأمون إلى مولاة -سبحانه وتعالى- بعد حياة حافلة بالإنجازات في مختلف نواحي الدولة<sup>2</sup>.

### **خلافة المعتصم بالله :**

**(218-227هـ/833-842م)**

ولد المعتصم بالله سنة 179هـ وكره التعليم في صغره، فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أميًا. وكان ذا شجاعة وقوة وهمة. بُويع بالخلافة سنة 218هـ بعد وفاة أخيه المأمون وبعهد منه. وقد سلك مسلك المأمون في سيرته، وفتح عمورية من بلاد الروم الشرقية، وبنى مدينة سامراء سنة 222هـ حين ضاقت بغداد بجنده. وهو أول من أضاف اسمه إلى اسم الله تعالى من الخلفاء فقيل المعتصم بالله وكان يُقال له الْمُتَمَنُّ لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس، وثامن أولاد الرشيد، وملك سنة ثمان عشرة، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وعاش ثمانية وأربعين سنة، وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء، وخلف ثمانية بنين وثمانية من البنات. وتوفي المعتصم في سامراء سنة 227هـ. (وكان نقش خاتمه الحمد لله الذي ليس كمثله شيء<sup>3</sup>).

آلت دولة الخلافة العباسية إلى المعتصم بالله بعد أن استقرت أحوالها، وامتدت أطرافها، وانتعشت الحياة الاقتصادية بها، وازدهرت الزراعة، فنمت غلتها، ورخصت أسعارها، وتقدمت الصناعة، واستُخرجت الثروات المعدنية من باطن الأرض، وانتعشت التجارة على نحو لم تعرفه الدولة الإسلامية من قبل بسبب الطرق الآمنة، وسهولة الانتقال من شرق البلاد إلى غربها دون عوائق تذكر، وكان من أثر تلك النهضة الاقتصادية أن نمت موارد الخلافة، وزادت إيرادات بيت المال؛ الأمر الذي جعل الدولة تعمل على تحسين المرافق العامة وتيسير الحياة على الناس، وتأمين حدود الدولة المترامية، وتشجيع العلم ومكافأة أهله والعناية بالترجمة، وبناء المؤسسات العلمية، وإنشاء المكتبات.

<sup>1</sup> شمسان إيمان أحمد، اليمن في العصر العباسي الأول ( 132 هـ – 203 هـ / 750 م – 818 م )، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، الشارقة الإمارات العربية المتحدة الطبعة الأولى 2001م، ص 95.

<sup>2</sup> المرجع السابق، سالم السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، ص 174.

<sup>3</sup> المرجع السابق، شمسان إيمان أحمد، اليمن في العصر العباسي الأول، ص 111.

مرض الخليفة المأمون، ولم يكن قد عقد لأحد بعده بولاية العهد، فاستدعى أخاه المعتصم وعهد إليه بالخلافة من بعده، دون ابنه العباس الذي كان موجوداً معه للقيام بغزو الدولة البيزنطية، ورد هجماتها، لكن مرضه حال دون إتمام ذلك ولعل الذي جعل المأمون يؤثر أخاه بالحكم دون ابنه أن الخلافة العباسية كانت تتهددها الأخطار من الداخل والخارج في ثورة بابك الخرمي في فارس، وهجمات البيزنطيين، وكان المعتصم بطلاً شجاعاً متمرساً بالحرب خبيراً بشؤونها، فأثر المأمون المصلحة العليا للخلافة بتولية من يصلح لهذه الفترة، وتمت البيعة بعد وفاته في 19 رجب 218 هـ / أوت 833 م وكان المعتصم يتميز بقوة الجسدية وشدة في الحرب، حتى قيل عنه إنه كان يصارع الأسود ويحمل ألف رطل، ويمشي بها خطوات، لم يكن المعتصم معنياً بالعلوم والآداب كأخويه الأمين والمأمون. وقد بالغ بعض المؤرخين فذكر أنه كان أمياً لا يكتب، أو أنه كان ضعيف الكتابة على قول ابن خلكان، وابن كثير، لكن ذلك لم يكن له أدنى تأثير في الحركة الفكرية والعلمية التي عمّت الخلافة فقد كانت البلاد مدفوعة بطاقة عارمة نحو الرقي والتقدم<sup>1</sup>

#### القضاء على الفتن والثورات :

كانت وصية المأمون لأخيه المعتصم أن يقضي على فتنة بابك الخرمي، وكان زعيم طائفة ضالة، يعتقد أصحابها بالحلول والتناسخ، ويدعون إلى الإباحية الجنسية، وبدأت تلك الفتنة في أذربيجان ثم اتسع، وأصبحت خطراً يحدق بالدولة العباسية، ووجدت عوناً ومساندة من الروم، وحاول المأمون أن يقضي على تلك الفتنة التي اشتعل أوارها، وأرسل إليها الحملات العسكرية، لكنها لم تستطع القضاء على تلك الفتنة، وتوفي المأمون دون أن يتحقق أمله، وحمل المعتصم مهمة القضاء على هذه الحركة، فنجح في ذلك على الرغم من مهارة بابك الخرمي العسكرية، وقدرته على وضع الخطط العسكرية، مستغلاً معرفته بطبيعة الإقليم الذي يتحصن فيه، من جبال ومضايق ووديان .

وامتدت الحرب أربع سنوات، حتى تمكن "الأفشين" أبرع قادة المعتصم من إخماد الفتنة، والقبض على بابك الخرمي في (10 شوال 222 هـ / 16 سبتمبر 837 م)، وكانت هذه الفتنة من أعظم الفتن التي تعرضت لها الدولة العباسية، شغلت الخلافة أكثر من عشرين سنة، وقُتل من أجل القضاء عليها آلاف المسلمين، قُدّرهم الطبري المؤرخ بنحو مائتين وخمسين ألف مسلم، وأنفقت الدولة العباسية من أجلها ملايين الدراهم والدنانير، ولم يكد المعتصم يستريح من فتنة بابك الخرمي حتى شبت فتنة أخرى في إقليم طبرستان، حيث قام وليها "المازيار" بشق عصا الطاعة، ومحاولة الاستقلال بالإقليم بعيداً عن سلطة الدولة العباسية، ولم تفلح المحاولات التي بذلها المعتصم لحل المشكلة سلباً مع المازيار الذي تمادى في غيه، فلجأ المعتصم إلى السيف، حتى تمكن من القضاء عليه في (سنة 224 هـ / 839 م)<sup>2</sup>.

#### بناء سامراء

لم يكن قد انقضى على بناء بغداد قرن واحد حتى عرضت للمعتصم فكرة بناء عاصمة جديدة، بعدما ضاقت بغداد بجنده الأتراك الذين أكثر من استخدامهم في الجيش، ولم تسلم العاصمة من مضايقاتهم، حتى أكثر الناس الشكوى من سلوكهم. و هو أول خليفة أدخل الأتراك الديوان. واختار المعتصم لعاصمته الجديدة مكاناً يبعد 130 كم رأساً من شمال بغداد، شرقي نهر دجلة، وشرع في تخطيط عاصمته سنة 221 هـ / 836 م (وبعث إليها بالمهندسين والبنّاءين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وغيرهم، وحمل إليها الأخشاب والرخام وكل ما يحتاج إليه البناء).

<sup>1</sup> المرجع السابق، سالم السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، ص 233 .

<sup>2</sup> المرجع السابق، شمسان إيمان أحمد، اليمن في العصر العباسي الأول ( 132 هـ - 203 هـ / 750 م - 818 م )، ص 154 .

وُعني الخليفة بتخطيط المدينة وتقسيمها باعتبارها مركزاً حضارياً ومعسكراً لجيشه، ففصل الجيش ودواوين الدولة عن السكان، واهتم بفصل فرق الجيش بعضها عن بعض، وامتدت المدينة على ضفة دجلة الغربية نحو 19 كم، وكان تخطيط المدينة رائعاً، يتجلى في شق عدة شوارع متوازية على طول النهر، يتصل بعضها ببعض عن طريق دروب عدة، وكان أهم شوارع المدينة بعد شارع "الخليج" الذي على دجلة "الشارع الأعظم"، وكان يمتد في عهد المعتصم 19 كم من الجنوب إلى الشمال بعرض مائة متر تقريباً وُعني المعتصم بزراعة القسم الغربي من دجلة تجاه المدينة، وشجع قادته على المساهمة في الزراعة، وحرص أن تكون عاصمته الجديدة مجمعا للصناعات المعروفة في عهده، واهتم ببناء الأسواق، وجعل كل تجارة منفردة مثلما هو الحال في أسواق بغداد، وجعل شارع الخليج الذي على دجلة رصيفاً ومرسى لسفن التجارة.

كانت المدينة الجديدة جميلة بقصورها الضخمة ومبانيها الرائعة وشوارعها المتسعة، ومسجدها الجامع وغيره من المساجد، فدعيت بـ"سُرَّ مَنْ رَأَى"، وزاد إقبال الناس على السكنى بها، تكشف الآثار الباقية من سامراء عن مدى التقدم العمراني والحضاري الذي كانت عليه الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري.

## **العصر العباسي الثاني: نفوذ الأتراك**

**( 232 - 334 هـ / 874 - 945 م )**

نشأ العصر العباسي الثاني بخلافة المتوكل على الله سنة 232 هـ، وقد انتهى بظهور الدولة البويهية في عام 334 هـ، وشهد العصر العباسي الثاني بروز النفوذ السياسي للأتراك عبر تحكمهم الواضح في الخلفاء مما أدى لإضعاف الدولة العباسية و يختلف العصر العباسي الثاني في كثير من معالمه عن العصر العباسي الأول، فقد تميّز العصر الأول بالقوة في أداء سلطة الخلافة، وتركيزها في يد الخلفاء الذين تميزوا بقوة الشخصية والبراعة السياسية، وقاموا بالمحافظة على العلاقات القوية مع الدول التي ساندتهم في فترة التحضير للانقلاب، كما أظهروا كفاءة منقطعة النظير في وقف العناصر المتطلعة إلى النفوذ والسلطان، بغض النظر عما جرى في الأندلس وبعض الأقاليم في شمالي أفريقيا، وتمكنوا من خلق نوع من التوازن بين التيارات السياسية المتعددة التي برزت بعد قيام الدولة، أمّا في العصر العباسي الثاني؛ فقد تغيرت كل هذه المعالم حين انتقلت الدولة من المركزية إلى اللامركزية في نظام الحكم، ونشأت دول منفصلة ومستقلة استقلالاً تاماً أو جزئياً مع الاعتراف بسلطان الخلافة الروحي، إضافة إلى دخول شعوب جديدة في المجتمع الإسلامي تمكنت من النفوذ إلى الحكم، ووقع الخلفاء تحت ذلك النفوذ، الأمر الذي أدى إلى تحجيم دورهم السياسي المؤثر، فافتقروا إلى الاحترام الذي كان موجوداً عند أسلافهم خلفاء العصر العباسي الأول .

## **المحاضرة الخامسة: الخلفاء العباسيون ( في العصر العباسي الثاني ):**

أسماء خلفاء بني العباس من سنة 251 إلى سنة 500 هـ مع ألقابهم ومدة خلافة كل منهم ونهاية حياته وأسماء أمهاتهم.

1/ **المستعين بالله:** أحمد بن الأمير محمد بن المعتصم بالله ( 248 - 252 هـ ) مدة خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر. خلع ثم قتل وعمره 32 سنة اسم أمه مخارق .

2/ **المعتز بالله**: محمد بن المتوكل على الله ( 252 - 255 هـ ) مدة خلافته أربع سنوات وستة أشهر. خلع وقتل وعمره 24 سنة أسم أمه قبيحة ( أم ولد).

3/ **المهتدي بالله** : أحمد بن الواثق بالله ( 255-256 هـ) مدة خلافته أحد عشر شهراً. قتل وعمره 34 سنة اسم أمه : وردة ( أم ولد).

4/ **المعتمد بالله**: أحمد ابن المتوكل على الله ( 256 - 279 هـ) مدة خلافته ثلاث وعشرون سنة، قيل مات مسموماً، وعمره 50 سنة اسم أمه: فتيان ( أم ولد).

5/ **المعتضد بالله** أحمد بن الأمير طلحة ( الموفق بالله) ابن المتوكل على الله (279-289 هـ) مدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر، قيل مات مسموماً وعمره 47 سنة ، أسم أمه : ضرار ( أم ولد) .

6/ **المكتفي بالله** : علي بن المعتضد بالله ( 289-295 هـ ) ، مدة خلافته ست سنين وسبعة أشهر. توفي وعمره 32 سنة أسم أمه : ( جيجك ) أي ( زهرة ) ( أم ولد).

7 / **المقتدر بالله** : جعفر بن المعتضد بالله ( 295-320 هـ) مدة خلافته خمس وعشرون سنة . خلع وقتل وعمره 32 سنة اسم أمه شغب ( أم ولد).

8 / **الظاهر بالله** : محمد بن المعتضد بالله ( 320-322 هـ) مدة خلافته سنة وستة أشهر، سمل وخلع سنة 322 وتوفي سنة 339 هـ.

9 / **الراضي بالله**: أحمد بن المقتدر بالله ( 322-329 هـ) مدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر، توفي وعمره 32 سنة أسم أمه: ظلوم ( أم ولد).

10 / **المتقي بالله**: إبراهيم بن المقتدر بالله ( 329-333 هـ) مدة خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً. خلع سنة 333 هـ وسمل ومات مسجوناً سنة 357 هـ وعمره 60 سنة، اسم أمه: خلوب وقيل زهرة ( أم ولد) .

11 / **المطيع لله الفضل**: بن المقتدر بالله ( 334 - 363 هـ) مدة خلافته تسعة وعشرون عاماً وخمسة أشهر، خلع وتوفي سنة 363 هـ أسم أمه: مشعلة ( أم ولد).

12 / **الطائع لله** : عبد الكريم بن المطيع لله ( 363 - 381 هـ) ومدة خلافته ثماني عشرة سنة . خلع سنة 381 وتوفي سنة 393 هـ عن 61 سنة اسم أمه : هزار ( أم ولد).

13 / **القائم بأمر الله** عبد الله بن القادر بالله ( 422 - 467 هـ) . مدة خلافته أربعة وأربعون سنة وبضعة أشهر. توفي عن 76 سنة أسم أمه: تمنّي ( أم ولد).

14 / **المقتدي بأمر الله** عبد الله بن الأمير محمد بن القائم بأمر الله ( 467 - 487 ) ، مدة خلافته عشرون سنة وبضعة أشهر. توفي عن 38 سنة، قيل إن جاريته شمس النهار سمّته. اسم أمه : أرجوان، وقيل قرّة العين ( أم ولد).

**15 / المستظهر بالله :** أحمد بن المعتدي بأمر الله ( 487 - 512 هـ )، المستكفي بالله ( 333 - 334 هـ ) مدة خلافته سنة وأربعة أشهر، سمل وخلع سنة 334 هـ مات مسجوناً سنة 338 عن 42 سنة. اسم أمه : أملح الناس ( أم ولد )<sup>1</sup>.

## **2 / انفصال الدويلات في العهد العباسي الثاني :**

كانت الدولة في أيام بني أمية وحدة شاملة من شرقها الممتد من بلاد ما بين النهرين وحدود الصين والهند إلى مغربها في المغرب الأقصى والأندلس. وكان يحكم أقاليمها ولاية يوليهم خليفة دمشق وإليه يرجعون في أمورهم الهامة، ينفذون سياسته ويحكمون بسلطانه. ولما انتقلت الخلافة إلى بني العباس استقلت بعض الأقاليم بتفويض منهم واستقل البعض الآخر بالغبلة عليهم.

ففي عهد أبي جعفر المنصور استولى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك سنة 138 هـ على الأندلس واستقل بها وأنهى الحكم العباسي وأعاد الحكم إلى بني أمية، وفي عهد المنصور أيضاً أنشأ إدريس بن محمد (النفس الزكية)، وهو من أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب دولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة 172 هـ، وفي عام 184 هـ أنشأ إبراهيم بن الأغلب بتفويض من الخليفة هارون الرشيد دولة والأغلبة في المغرب الأدنى (تونس)، وفي عام 205 هـ أنشأ طاهر بن الحسين بتفويض من المأمون دولة بني طاهر في خراسان مكافأة له لنصرته على الأمين، فهذه الأقاليم الأربعة انفصلت عن الدولة العباسية واستقلت عنها، وتداولت الحكم بطريق الإرث. غير أن انفصال بعضها كان يختلف عن انفصال البعض الآخر. ففي دولة بني أمية في الأندلس وفي دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، انقطعت الصلة بدولة الخلافة العباسية أما في دولة بني طاهر ودولة والأغلبة، فلم تنقطع الصلة بها، بل ظلت على ولائها وتبعيتها<sup>2</sup>.

وفي العصر العباسي الثاني انفصلت عن دولة الخلافة الأقاليم الآتية:

**\* سنة 254 هـ** انفصلت مصر والشام وقامت فيهما دولة أحمد بن طولون وخلفتها دولة الإخشيد وفي سنة 254 هـ قامت دولة بني الصفار في سجستان بزعامه الليث بن الصفار واستولت على خراسان وقضت على دولة بني طاهر.

**\* سنة 261 هـ** قامت دولة بني سامان في خراسان بزعامه نصر بن أحمد ابن أسد بن سامان وقضت على الدولة الصفورية.

**\* سنة 297 هـ** قامت في إفريقية دولة العبيديين بزعامه أبي عبيد الله المهدي وقضت على دولة والأغلبة، ثم على دولة بني الإخشيد وامتد حكمها إلى مصر والشام والحجاز.

**\* سنة 320 هـ** قامت دولة بني بوية في فارس وأصبهان وهمدان والري بزعامه أبناء بوية وهم: الحسن وعلي وأحمد وأبناؤهم من بعدهم. وقامت في الموصل والجزيرة وحلب دولة بني حمدان بزعامه أبناء حمدان بن حمدون التغلبي.

<sup>1</sup> محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمار أبو عبد الله، (ت 748 هـ - 1347 م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق: عمر عبد السلام الترمذي، بيروت 1987م. بتدكرة الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1998م، ص 320.

<sup>2</sup> ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597 هـ - 1200 م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر أبا، طبعة 1940م، ص 210.

\* سنة 321هـ قامت دولة الغزنويين فيما وراء النهر بزعامة سبكتكين, أمير غزنة ومن بعده ابنه محمود المعروف باسم محمود الغزنوي ففضى على دولة بني سامان وامتدت دولته إلى الهند.

\* عام 328هـ لم يبق في يد الخليفة سوى بغداد وسواد العراق, وقد جرد منهما حين استولى معز الدولة البويهى على بغداد سنة 334هـ فلم يبق من الخلافة غير لقبها.

\* عام 421هـ قامت دولة الترك (الغز) السلاجقة, القادمين من بلاد تركستان , فأزالت دولة الغزنويين والبويهيين والدويلات الأخرى, بزعامة طغرل بك السلجوقي, وكانت تلك الدويلات قد أضعفتها الحروب التي نشبت بينها, ولم يتكلف السلاجقة كبير عناء في القضاء عليها<sup>1</sup>.

ولما مات طغرل بك خلفه ابن أخيه ألب أرسلان فقامت في عهده وحدة الدولة الإسلامية الممتدة من بلاد ما بين النهرين إلى بلاد الشام غير أن الخلاف ما لبث أن ثار بينه وبين ابن عمه (قتلمش), ونشبت بينهما الحرب سنة 456هـ, وفيها قتل (قتلمش) وأدى قتله إلى انقسام الدولة السلجوقية, فاستقل سليمان بن قتلمش بالأناضول وأقام سنة 470هـ دولة عرفت بدولة سلاجقة الروم (يقصد بها بلاد الروم) وقد اتخذ سليمان (نقية) ثم (قونية) عاصمة له.

تدل الأحداث التاريخية على أن انتزاع الخلافة الإسلامية من العرب كان هدفا رمى إليه من خططوا له وسعوا إليه, فمن تأمل في حياة أبي مسلم الخراساني يلوح له بجلاء سعيه في انتزاع الخلافة الإسلامية ونقلها عن طريقه إلى الفرس. فقد استعان بعرب اليمن في قتال نصر بن سيار أمير خراسان للأمويين, وزعيم المضربين.

### **المحاضرة السادسة: وزراء بني العباس:**

لم يكن حال الوزراء بأفضل من حال الخلفاء, فكان الوزير يأتى بأمر المتغلبين, فإذا غضبوا عليه عزلوه وصادروا أمواله, وقد يقتلونه, كما جرى للوزير أحمد بن إسرائيل ولكاتبه عيسى بن نوح. فقد صادرهما القائد التركي صالح بن وصيف وقتلهم ضربا بالسياط . ومثل ذلك بل أشد جرى لكثير من الوزراء, وكثيرا ما كان الوزير يُنصب ثم يُعزل, ويتكرر نصبه وعزله عدة مرات لا يفصل بينهما إلا أمد قصير, وغالبا ما كان ينتهي عزله بمصادرته وقتله, ومع ذلك فإن الكثيرين كانوا يطمعون في تولي الوزارة, ويبدلون المال في سبيل تزويرهم.

ذلك أن الوزارة كانت موردا للثراء الفاحش عن طريق الرشاوى, من ذلك أن محمد بن عبيد الله بن خاقان وزير المعتضد بالله كان يأخذ الرشوة من كل طالب وظيفة, وربما عين للوظيفة الواحدة عددا من الموظفين, وقيل إنه عين في يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة وأخذ من كل واحد رشوة. وإذا كان الوزير حسن السياسة, وكان ذا دهاء وذكاء فإنه يستطيع أن ينال من الخليفة أو الأمير البويهى تفويضا بتصريف أمور الدولة, وكان أهمها ضمان الخراج وتعيين الولاة والعمال والقضاة والكتاب, فيكون للوزير على من يوليه جبايات يجني منها ربحا وفيرا, ويثري به ثراء فاحشا.

من أجل ذلك كانت الوزارة هدفا للدسائس من حاسدي الوزير, الطامعين في منصبه, فإذا أفلح الدس على الوزير عزل وصودرت أمواله, وكان ما يصادر يعد بالآلاف والآلاف من الدنانير, ومع ذلك فقد يسلم له

<sup>1</sup> أبو الفداء, الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن على بن محمود ينشاه نشاه بن أيوب, (732هـ - 1332م), المختصر في أخ بار البشر. طبع على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه, الطبعة الأولى, ص 276 .

الكثير مما يكون قد طمره في حفرة، أو أخفاه في مكان بعيد. لذلك كانوا يعتبرون الوزارة مركز ابتلاء ونقمة، ولا تلبث أيامها القصار أن تنتهي ببلاء، وكثيرا ما كان يصح الرأي في الوزير المعزول أو تتجح الشفاعة فيه، فيستوزر للمرة الثانية والثالثة، فإذا عاد، كان أول ما يفعله بطشه بخصومه وجمعه عن طريق الجايبات والرشاوى ما فقد بالعرل والمصادرة. كان لبعض الوزراء صنائع يتكسبون بسلطانهم بأسباب كثيرة، من ذلك ما روي عن عبيد الله بن وهب وزير الخليفة المعتمد على الله فقد فعل هذا الوزير ما أسخط عليه الموفق بالله، أخو الخليفة والمتغلب عليه. فطلبه فهرب واستتر عند تاجر من تجار بغداد يدعى عبد الله بن أبي عون، ثم صالحه الموفق وعفا عنه. ولما تولى المعتضد بالله بن الموفق الخلافة استوزره، فأراد أن يكافئ ابن أبي عون وحصل له على مائة ألف دينار بالطريقة الآتية: باعه مائة ألف (كر) من غلات الخلافة، وانتقص من قيمة كل كر دينار<sup>1</sup>.

كذلك سمح له أن يتوسط في قضاء حاجات الناس لقاء مبلغ يقبضه منهم، وكان الوزير يسأله عما يأخذه من كل قضية، فإذا وجد ما قبضه قليلا قال له: هذه القضية تساوي أكثر مما قبضت فارجع فاسترد فإذا قال له: إنني أستحي، قال له الوزير: عرفهم أنني لا أقضي لك حاجتهم إلا بهذا القدر، وأني رسمت لك هذا، فيرجع فيستزيد فيزيدون له وقد جرى ابنه القاسم بن عبيد الله على هذه الخطة عندما خلف أباه في الوزارة فقد روي أن إسحاق الزجاج الإمام في اللغة والنحو، كان مؤدبا للقاسم وهو صغير، فقال له يوما: إن بلغك الله مبلغ أبيك في الوزارة، ما تصنع بي؟ فقال: ما أحببت، فقال له: تعطيني عشرين ألف دينار فقال: نعم. وولي القاسم الوزارة في عهد الخليفة المعتضد بالله والخليفة المكتفي بالله، وجاء الزجاج يستتجز الوعد، فأمره أن يجلس للناس ويأخذ رقاعهم للحوائج الكبار ويتقاضى أجرا عليها، فجمع بذلك أضعاف ما كان يتمناه بعلم الوزير .

## **2/ ابتكار الألقاب:**

كان خلفاء بني أمية يتكفون، على عادة العرب، بأسماء أكبر أبنائهم ويلقبون بأبائهم المؤمنين، كما كان يلقب الخلفاء الراشدون من عهد عمر بن الخطاب.

ولما انتقلت الخلافة إلى بني العباس أضافوا إلى هذا اللقب ألقابا تدل على صفة يتميز بها الخليفة. فقد عرف عبد الله أبو العباس أول خليفة عباسي، بلقب (السفاح) وتلقب أخوه عبد الله أبو جعفر بلقب (المنصور) وتلقب ابنه محمد من بعده بلقب (المهدي) وتلقب من بعده ولداه، موسى وهارون بلقب موسى (الهادي) وهارون (الرشيد). ولقب الرشيد أولاده الثلاثة: محمد وعبد الله والقاسم بلقب محمد (الأمين) وعبد الله (المأمون) والقاسم (المؤمن).

وعندما تولى الخلافة محمد بن الرشيد خلفا لأخيه المأمون ابتدع لقباً، أضافه إلى اسم الله تعالى فتلقب بمحمد (المعتصم بالله)، وجرى الخلفاء من بعده على تقليده، وأصبح الخليفة يعرف بلقبه. وحينما استبد القادة الأتراك بالسلطة منح الخليفة إلى من بيده السلطة منهم لقب (أمير الأمراء) وجاء من بعدهم المتغلبون من بني بوية فأضفى عليهم الخليفة العباسي ألقاباً فيها معنى الاعتراف بسلطانهم، فلقب أحمد بن بوية بلقب (معز الدولة) ولقب أخاه عليا بلقب (عماد الدولة) ولقب أخاه الحسن بلقب (ركن الدولة)، وتولى تلقب أبنائهم من بعدهم بمثل تلك الألقاب، كعضد الدولة وجلال الدولة وبهاء الدولة وفخر الدولة).

<sup>1</sup> ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمران، (ت 774 هـ - 1362م)، البداية والنهاية، الطبعة الثانية، بيروت، 1977م، ص 176.

الدولة.

ولم يكتف بنو بوية بهذه الألقاب, بل أضافوا إليها لقب (السلطان), ومنهم من تلقب بلقب (شاهنشاه) أي ملك الملوك. ثم سرت هذه الألقاب بعد ذلك إلى أمراء الأقاليم المستقلين, فكان من الحمدانيين في الموصل وحلب: ناصر الدولة وسيف الدولة وشبل الدولة, وتبعهم بعد ذلك أمراء بني عقيل في الجزيرة وملوك الإخشيد في مصر, وسلاطين غزنة وكان منهم: ناصر الدولة سبكتكين ويمين الدولة محمود وشهاب الدولة وجمال الدولة وكمال الدولة, وإلى هذه الألقاب أضيفت أيضا كني كآبي الفضائل وأبي المعالي وما شابه ذلك.

كذلك منح الوزراء وكبار الكتاب المتراسلين في ديوان الخلافة ألقابا ترمز إلى مكانتهم وتدل على رتبهم. فقد منح المأمون وزيره الفضل بن سهل لقب (ذو الرئاستين) ومنح أخاه الحسن لقب (ذو الكفاءات) ومنح طاهر بن الحسين لقب (ذو اليمينين). وجرى الخلفاء من بعده على هذا النحو. فقد لقب الخليفة المعتضد بالله وزيره أبا القاسم علي بن المسلمة بلقب (رئيس الرؤساء) ومنح وزيره محمد بن جهير لقب (فخر الدولة). ولقب الخليفة المستظهر وزيره علي بن محمد بن جهير بلقب (زعيم الرؤساء).

وقد أصبحت الكنى والألقاب في العصر العباسي الثاني موردا للخلفاء, وخاصة بعد أن رفعت عن أيديهم أموال بيت المال في عهد معز الدولة البويهية فكان الخليفة يبيع الألقاب لمن يطلبها. وقد نهج الخلفاء الفاطميون نهج الخلفاء العباسيين في الألقاب, فكان منها المهدي بالله والعزيز بالله والمعتز بالله والحاكم بأمر الله والمستنصر بالله, وفي الأندلس تسمى عبد الرحمن الثالث بن محمد بالخليفة واتخذ لنفسه لقب الناصر لدين الله ونهج أخلافه نهجه, فكان منهم المؤيد بالله والمستعين بالله والمستظهر بالله والمعتد بالله<sup>1</sup>.

### 3/ مظالم الخراج :

واتخذ ملوك الطوائف في الأندلس الألقاب فكان منهم المعتضد بالله ملك أشبيلية وابنه المعتمد على الله وكانت هذه الألقاب على ضخامتها لا تمثل لمن اتخذها لنفسه شيئا من معانيها, يشمل الخراج ضريبة ما تخرجه الأرض من ثمرات ومحاصيل, وكان يتولى جبايتها مع جباية موارد الدولة الأخرى عمال يدعون (عمال الخراج) وكانوا يتمتعون بسلطة كبيرة. وقد عرفوا بالظلم والتعسف فكانوا يجبون أضعاف ما كانوا يضمنون أداءه للدولة, وقد روى المؤرخون ما كان يجري على أيديهم من المظالم, وما كان يلقي المكلفون من صنوف العذاب. وقد وصف ابن المعتز في أرجوزة نظمها ما كان يلقي المكلفون من أنواع التشهير والتعذيب في أداء ما يفرض عليهم.

المعتز, وهو ابن خليفة وخليفة وشاعر وجداني كبير, يستطيع أن يصف ما كان يعانيه المكلف بالخراج من تعذيب وكان إذا عجز عن أداء خراج ضيعته سلط عليه عامل الخراج أعوانه فيأخذونه من تلابيبه ويجرونه إلى الحبس جرا ثم يقيدونه بالحبال المصنوعة من (القنب) ويلقونه في عرى الجدار ثم يأخذون في صفعه أمام الناس وفيهم العدو الشامت به والصديق المتأسي له, فإذا استغاث من ألم الضرب وسعير الشمس رفسه الأعوان وصب عليه السجان الزيت فشوه هيئته, وإذا اشتد عليه العذاب طلب أن يمنحوه خمسة أيام ليجمع المبلغ المطلوب منه ببيع عقاره فلا يمنح إلا أربعة أيام, وحين يسمع المرابون بأمره, يستغلون محنته, وأقرضوه كل قرش بعشرة أمثاله, وكتبوا عليه صكا, وألزموه حلف الأيمان,

<sup>1</sup> المصدر السابق, ابن كثير, البداية والنهاية, ص 326.

واستكتبوه صكا ببيع ضيعته إذا تأخر في الوفاء فيضطر للإذعان، فإذا حصل على المال أتاها أعوان عامل الخراج ليستوفوا أجرهم، فإذا تكلأ أخذوا عمامته وحمشوا وجهه وهامته<sup>1</sup>.

ثم يصف ابن المعتز في أرجوزته، ما كان يصنعه عمال الخراج في استيفاء الضريبة من التجار. كانوا إذا امتنع أحدهم عن دفع ما يفرضون عليه، ادعوا عليه أن السلطان أودعه وديعة وعليه أن يردها، فإذا أنكر ذلك صبوا عليه أسوأ العذاب، ومثل ذلك يفعلون مع من يرث ميراثا ضخما، فكانوا يعملون على الاستيلاء على ميراثه، أو يشركونه فيه، فإذا رفض سجنوه وأخذوا في تعذيبه حتى ينالوا ما يريدون .

وقد جمع عمال الخراج مما جنوه ثروات كبيرة، ملكوا بها الضياع وبنو الدور والقصور وعقدوا فيها مجالس الطرب والسمر والشراب، وقصدهم الشعراء يتكسبون بمدحهم، وقد اشتهر منهم إبراهيم وأحمد ابني عبد الله بن المديبر، فكان الأول عامل الخراج في البصرة والأهواز أيام الخليفة المعتضد وكان الثاني عامل الخراج في مصر والشام أيام الأمير أحمد بن طولون وقد مدحهما البحري ونال منهما خيرا وفيرا. وقد يتولى الوزير مع وزارته ضمان الخراج، فيجبي بسلطانه مالا كثيرا، يؤدي بعضه إلى بيت المال ويوفر لنفسه ما تبقى من ذلك أن حامدا بن عباس وزير الخليفة المقتدر، ضمن خراج سواد بغداد والكوفة والأهواز بمبلغ دفعه إلى بيت المال، وجبي بسلطانه أضعاف ما أداه، واحتكر الغلال حتى ضج الناس من ارتفاع أسعارها، فعزله الخليفة وصار منه ألف ألف (مليون) دينار، ثم نفاه إلى واسط وتولى علي بن أحمد الراسبي ضمان الخراج من حدود واسط إلى شهر زور بمليون وأربعمائة ألف دينار في السنة وذلك في عهد الخليفة المقتدر، ولما مات خلف أموالا كثيرة استولى الخليفة منها على مليون دينار<sup>2</sup>.

#### **4/ مصادرة الأموال :**

لم تقتصر المصادرة على أموال من يخلع من الخلفاء أو يعزل من الوزراء والعمال، بل شملت أموال الناس وخاصة التجار منهم، فكان الخليفة العباسي أو السلطان البويهبي، إذا أعوزه المال أمر بمصادرة التجار.

من ذلك أن الموفق بالله، وكان صاحب السلطة في خلافة أخيه المعتمد على الله أمر الوزير صاعد بن مخلد أن يلزم التجار بتوفير المال لتزويد جيش يرسله لمحاربة عمرو بن الليث الصفار فلما لم يجد منه العزم على تنفيذ ما أمر به، أمر بمصادرة أمواله وأموال أخيه عبدون بن مخلد، وقد بلغ قيمة ما صادره من أموالهما ألف ألف (مليون) دينار، وأمر بحبس صاعد<sup>3</sup>.

#### **فساد القضاء:**

القضاء هو الأداة التي تضمن سلامة المجتمع وأمنه بإشاعة العدل والمساواة بين أفراد. ويشترط في القاضي أن يكون عالما بأحكام الشرع، مراعي مقاصده ومجتهدا فيه، وأن يكون عفيفا، غير طامع في مال ولا مغتر بجاه ولا مطيع لسلطان في غير ما أمر الله.

<sup>1</sup> أبو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بنشاه بنشاه بن أيوب ، (732هـ - 1332م)، المختصر في أخ بار البشر . طبع على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه ، الطبعة الأولى، ص 190 .

<sup>2</sup> القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت 672هـ - 1283 م) ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، طبعة 1960م ، ص 168 .

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 193 .

وكان القاضي يرتزق من بيت المال في حدود حاجته وقد يتورع فيقضي بغير أجر. ومن الفقهاء من كان يعتبر القضاء محنة وابتلاء فيأبى توليه مخافة أن يصدر في قضائه عن جور أو يلحق ظلماً بأحد، فيبوء بخسران يقاضيه الله عليه. ففي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: قاض في الجنة وقاضيان في النار فهو يخشى أن يكون أحد القاضيين.

وهذا أبو حنيفة يريد به الخليفة المنصور العباسي على القضاء فيمتنع، فيأمر المنصور بضربه بالسياط، ثم يأمر بحبسه، وفي قول إنه مات في الحبس. وهذا سفيان الثوري يكتب إليه الخليفة المهدي بولاية قضاء الكوفة على أن لا يتعرض أحد لحكم من أحكامه، فيأخذ العهد ويرميه في دجلة ثم يتوارى<sup>1</sup>. ومثله إسماعيل بن إبراهيم الأسيدي المعروف بابن عليّة وعبد الله بن وهب وكثيرون غيرهم ممن تخرج من تولي القضاء فامتنع عن قبوله.

هكذا كان شأن القضاء فيما مضى حتى العصر العباسي الثاني، فقد تأثر بفساد العصر وأصبح وسيلة للارتزاق، وارتقى إليه من ليس من أهله. ففي عهد الخليفة المقتدر، ولي وزيره أبو الحسن بن الفرات القضاء تاجراً كان أسدى إليه معروفاً. ومضت فترة جرى فيها تضمين القضاء. ففي عام 350هـ ضمن السلطان معز الدولة البويهري قضاء بغداد لأبي عبد الله بن أبي الشوارب ومعه قضاء القضاة، لقاء مائتي ألف درهم يدفعها كل سنة إلى خزانة السلطان. وكان تضمين القضاء وسيلة للرشوة، ويبدو أنها كانت مألوفة عند بعض أبناء أبي الشوارب، وأكثرهم ممن تولي القضاء فقد روى ابن كثير أن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب، قاضي بغداد كان ينسب إلى أخذ الرشوة في الأحكام والولايات. على أن هذه الأسرة قد تولي أكثر أبنائها القضاء، وكانوا على جانب كبير من العلم والورع، غير أن الفساد سرى إلى بعضهم، وكان فساد القضاء كما يقول صاحب المنتظم، أول ما انحل من سياسة الملك.

وقد أورد محمد بن سعد الزهري المتوفي عام 230هـ مقارنة بين قضاة صدر الإسلام وقضاة زمانه فقال: كان الرجال يتقاولان بالمدينة في أول الزمان فيقول أحدهما للآخر: لأنت أفلس من القاضي، فصار قضاة اليوم ولاية وجبارة وملوكاً وأصحاب غلات وضيعات وتجارات وأموال<sup>2</sup>.

## **2/ الفتن و الثورات:**

### **أ - الفتن المذهبية:**

ثارت بين الشيعة وبين أهل السنة، وخاصة الحنابلة منهم، فتن كان مسرحها بغداد. وقد بدأت في أوائل القرن الرابع الهجري وامتدت إلى أواخر القرن الخامس الهجري، وكانت تتوالى الفتن عاما بعد عام، وكثيراً ما كانت تشتد، فينشب فيها قتال مرير يرافقه حرائق وتدمير.

وكان من أسباب هذه الفتن احتفال الشيعة بيوم الغدير، والاختلاف في تفسير بعض آيات القرآن الكريم التي تتعلق بصفات الله تعالى، فكان الشيعة يفسرونها على التأويل على عكس الحنابلة، ففي سنة 317هـ قامت فتنة كبرى بينهم بسبب تفسير آية: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا فالحنابلة يفسرونها على أن الله تعالى يجلس محمداً معه على العرش، لأنهم يأخذون بظاهر الآية، ويفسرها الشيعة بالتأويل، وعندهم أن

<sup>1</sup> المصدر السابق، ابن كثير، البداية والنهاية، ص 326،

<sup>2</sup> المصدر السابق، القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 233.

المقصود منها هو الشفاعة، وقد شد آل بوية أزر الشيعة لتشيعهم، وشد الأتراك أزر أهل السنة لأخذهم بمذهبهم، وكان القصاص من الجانبين يثيرون شعور الطرفين بالعداء ويحشرون فيما بين كذلك كانت تثار الفتن بين الحنابلة والأشاعرة، وبين الحنفية والشافعية، فكان أهل كل مذهب يتعصبون لمذهبهم، ويدفعهم التعصب إلى أن يقتتلوا. ففي عام 469هـ قدم أبو نصر القشيري إلى بغداد فوعظ بالمدرسة النظامية ونصر الأشاعرة وحط على الحنابلة، فهاج عوام أهل السنة وأحدثهم وقصدوا المدرسة النظامية، وحميت الفتنة وقتل جماعة منهم. وثار الفتنة في عام 476هـ بين الفريقين وتلتها فتنة أخرى إلى آخر القرن السادس الهجري<sup>1</sup>.

كذلك ثارت الفتن بين الحنفية والشافعية، وكلاهما من أهل السنة، ففي عام 468هـ نشبت فتنة كبرى بينهم بسبب تحول إمام من أئمة الحنفية إلى المذهب الشافعي. فقد روى السبكي أن الإمام أبو المظفر منصور بن أحمد بن عبد الجبار المعروف بابن السمعاني الخراساني. تحول من المذهب الحنفي الذي ناظر فيه ثلاثين سنة، إلى المذهب الشافعي، فقامت الحرب بين جماعة المذهبين، واضطربت الفتنة بينهم، حتى كادت أن تملأ ما بين خراسان والعراق .

وقد أقدم الإمام ابن السمعاني على التحول من مذهبه إلى المذهب الشافعي للتقرب من نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ألب أرسلان وكان هذا الوزير متعصباً للمذهب الشافعي، وهو مذهب الدولة السلجوقية، وقد أنشأ في بغداد وأصفهان وفي مدن أخرى مدارس عرفت بالمدارس النظامية لتدريس المذهب الشافعي.

ويصف لنا ياقوت في معجمه آثار الخراب الذي أصاب بعض المدن في أعقاب الفتن التي كانت تنشب بين أصحاب المذهبين، فحين يذكر مدينة أصفهان يقول: "وقد فشا الخراب في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الحنفية والشافعية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت الأخرى..."، وجرى مثل ذلك في مدن أخرى كالري وسالوه.

وروى الإمام السبكي أن مسعود بن علي وزير خوارزم شاه، أمير خوارزم كان متعصباً للشافعية، وقد بنى في مدينة (مرو) جامعاً، فتعصب عليه أهل المدينة وهم أحناف، وأحرقوا الجامع، وقامت فتنة هائلة، كادت الجماجم فيها تطير عن الغلاصم<sup>2</sup>.

## **ب - فتن الجند:**

كان الجيش في أغلبه يتألف من الأتراك الديلم، وكثيراً ما شاغبوا على الخليفة لتأخر أعطياتهم، وكثيراً ما أدى شغبهم إلى خلع الخليفة طمعاً برسم البيعة ممن يخلفه. وقد يرتد شغبهم على الناس، فتندلع فتنة يكثر ضحاياها.

ففي عام 421هـ برم الناس من اعتداء الجند الأتراك، وعجزت الدولة عن ردهم لضعفها وهوانها، فاجتمع الهاشميون والعلويين ومعهم الفقهاء، فاستنفروا الناس لصد الأتراك. فعمد الأتراك إلى رفع الصليب على رمح، يتحدثون بذلك الدولة، وترامى الفريقان بالنشاب والأجر، وقتل طائفة من الناس.

<sup>1</sup> ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، (ت481هـ - 1089م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار بن كثير، طبعة 1406هـ ، ص 156 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 176 .

وفي عام 429هـ تظلم الناس من اعتداء الديلم واقتحامهم الدور وتعرضهم للنساء، فلم يستمع السلطان البويهى لتظلمهم، فالتحموا مع الديلم في قتال مرير، واهتبل العيار ون انشغال الناس في القتال، فدهموا البيوت والمخازن، واقتحم اللصوص بغداد فأخذوا ما وجدوا من الخيول.

### **ج - فتن العيارين والشطار :**

كان للعيارين والشطار نصيب كبير في الفتن، فقد تألف منهم فرق منظمة، كانت تخضع لزعيم يدعى (مقدم العيارين) وهو الذي يزودها بالسلاح ويتولى تدريبها وتوجيهها، وأشهرهم: عزيز الباصري (نسبة إلى باب البصرة)، والبرجمي والطقطقي وابن الحراصة وابن حمدي وابن فولاذ.

وكان ينتظم في هذه الفرق أوازع من الناس وأخلاق من الفقراء، فيهم السني والشيعة، وفيهم الهاشمي والعلوي وفيهم الأعرابي والكردي والعجمي. كانت فرقهم تنتهز انشغال الناس في الفتن التي تنثار، فيغيرون على منازل الأغنياء، وكثيرا ما تغلبوا على الشرطة وهزموها. وقد بلغ من قوتهم أن فرضوا الخطبة لزعيمهم في صلاة الجمعة.

ففي عام 424هـ اجتمع في الرصافة ببغداد فريق منهم وألزموا الخطيب أن يخطب للبرجمي مع خطبته للخليفة والسلطان. وكانوا يفرضون الإتاوات على أصحاب الأعمال، وربما تولوا حفظ الأمن، وتلقب زعمائهم بلقب القواد. وكانت أفعالهم فيها ظاهرة الثورة على فساد الحكم. وقد التزم البرجمي ومن بعده الطقطقي بمعاني الثورة وأغراضها في مقاومة حكم تسوده الفوضى ويطغى عليه نهب الأموال، واختل فيه ميزان العدل وسرت فيه الرشاوي. وكان سلوكهم مطبوعا بالمروءة، فلم يكن يسمح لأحد من أعوانهم الاعتداء على امرأة أو أخذ شيء منها، ولا التعرض لأوساط الناس.

على أن جماعات اتخذوا اسم العيارين كانوا أقرب إلى اللصوص والسراق، وفيهم فجار وقوادون، منهم ابن حمدي وابن الحراصة، فكانوا يمارسون عدوانهم على الناس فلا ينكرها عليهم أحد لأن قائدا من قواد الديلم يدعى أبا جعفر بن شيرزاد ضمن لهم ما كانوا يمارسونه بمبلغ خمسة وعشرين ألفا دينار يدفعونها إليه في كل شهر<sup>1</sup>.

### **الثورات :**

نشبت من الثورات في العصر العباسي الثاني بين عامي 255 و 366هـ ما يزيد على خمسين ثورة، منها ما كان ثورة على الحكم، ومنها ما كان انتقاضا على الحاكمين، من خليفة وسلطان وكان أهم الثورات خطرا في أسبابها ونتائجها ثورتان هما: ثورة عرفت باسم ثورة الزنج وثورة القرامطة .

### **أ - ثورة الزنج:**

سبق للزنج أن ثاروا سنة 71هـ ثم ثاروا سنة 76هـ. لما كان ينالهم من ظلم ملاك الأراضي الذين جلبوهم من شرق إفريقيا لاستصلاح أراضيهم التي كان يغمرها شط العرب بدفع مد مياه الخليج العربي ويترك في سطحها طبقة من الأملاح. وقد قمع الحجاج، أمير العراق، الثورتين.

<sup>1</sup> المصدر السابق، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص

ثم قامت لهم ثورة عارمة في عهد الخليفة المعتز بالله. قادها رجل فارسي دعا نفسه محمد بن علي وزعم أنه علوي النسب وتروي الروايات، أنه قدم من الأهواز سنة 255 هـ ونزل في منطقة تقع في جنوب العراق تعرف بالبطائح أو السباخ كان يقوم باستصلاحها الزوج الإفريقيون، وكانوا يلاقون ظلماً مريراً من أصحاب الأراضي التي كانوا يقومون باستصلاحها. فاندس فيهم ذلك الرجل وادعى أنه من آل البيت، ودعاهم لإتباعه ليحررهم من الرق، وينجيهم من عذاب أسيادهم، وأخذ يظهر لهم، بما أوتي من ذكاء وسعة حيلة، أعمالاً فيها كثير من الشعوذة وينبئهم بأخبار يزعم أنها من الغيب.

وقد أقام دعوته على دعوة الخوارج وهي المساواة بين المسلمين. وقد استجاب له الأعراب الذين كانوا يسكنون في بوادي البصرة وأكثرهم ممن كان المعتصم أخرجهم من ديوان الجيش وأبدلهم بجند من الأتراك، وقد اضطروهم شطف العيش إلى شن الغارات على القرى واعتراض قوافل الحجاج، ينهبون ويسلبون، كذلك انضم إليه جموع من الفقراء والمستضعفين، وقد أغراهم بما يطمع فيه الفقراء، الذين ضمروا في قلوبهم الشعور بالإيمان وتراخت عقيدتهم، فأباح لهم شيوعية الأموال والنساء، وهي عقيدة مزدك الفارسي، فاجتمعوا عليه مخلصين له مؤمنين بدعوته<sup>1</sup>.

وقد عرف القائل بتلك الدعوة، الناظم لتلك الجموع الغفيرة بصاحب الزنج، لأن العدد الغالب من أتباعه كان منهم، ولأنهم أول من استجاب لدعوته، فاستولى على البحرين والإحساء، ثم توجه صعداً إلى البصرة. وفي شوال سنة 257 هـ أغار على تلك المدينة وهي غافلة، فداهمها بجموعه وأمعن أتباعه فيها نهبا وسلبا وقتلا وتحريقا، فلم يسلم من أهلها إلا من هرب وهام على وجهه يلتمس النجاة.

وأوى من ظل في المدينة إلى المسجد الجامع ظناً منهم أنهم يؤمنون فيه على أرواحهم، لكن الثائرين ما لبثوا أن داهموا المسجد وقتلوا من أوى إليه، ثم اقتحموا البيوت وقتلوا الأطفال وسبوا النساء، وفيهم كثير من شرائف العاويات، فتقاسمهم الأسرون، ومن دخلت في سهمه استخدمها وفجر بها وباعها، حتى بلغت قيمة العلوية ثلاثة دراهم، ثم أحرقوا البصرة فأضحت معالمها أطلالا. وقد نظم ابن الرومي في مأساتها قصيدة وصف فيها ما حل بها وبأهلها من قتل ودمار وصفا مؤثرا، تدمع له العين وينفطر له القلب. وبعد خراب البصرة توجه صاحب الزنج بأتباعه إلى الأهواز وهزم الحملات التي كان يرسلها الخليفة المعتمد على الله لقتال هو بعد ذلك قصد (واسط) وهم بالتوجه إلى بغداد لولا أن الخليفة جمع له جيشاً كثيفاً قاده أخوه الموفق بالله، فتغلب على صاحب الزنج بعد قتال مرير وتمكن من قتله والقضاء على الفتنة التي أثارها والتي دامت خمس عشرة سنة (255 - 270 هـ)<sup>2</sup>.

## **ب - ثورة القرامطة :**

لم تكد تنتهي ثورة الزنج حتى نشبت ثورة أخرى كانت امتداداً لها ومنادية بشعارها وهو مقاومة الظلم والاستبداد ومعلنة مبدأ المساواة بين الناس. وقد عرفت بثورة القرامطة، وتنسب هذه التسمية إلى رجل فارسي عرف بلقب (قرمط)، وهو لقب يطلق على القصير، المتقارب الخطأ، أما اسمه فقد اختلف

<sup>1</sup> تاج الدين، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الوهاب بن عبد الكافي، (ت 771 هـ - 1369م). طبقات الشافعية الكبرى، القاهرة، طبعة 1906م، ص 325.

<sup>2</sup> أبو بكر البيهقي، ظهر الدين، (ت 565 هـ - 1266 م) - تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق: محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق، طبعة 1946م، ص 234.

الرواة والمؤرخون فيه، فمنهم من دعاه حمدان الأشعث ومنهم من دعاه الفرّج بن عثمان، ولكنهم متفقون على أنه قدم من الأهواز، وظهر في سواد الكوفة سنة 258هـ في موضع يقال له (النهرين) وكانت حرب الزنج ما تزال قائمة على أشدها. وقد غلب على الرجل لقبه فكان يعرف بقرمط وعرف أتباعه بالقرامطة، وقد كان أحد دعاة الإمام الإسماعيلي (المنتظر) الذين بثهم في الأقطار عبد الله بن ميمون القداح، منظم الدعوة الإسماعيلية<sup>1</sup>.

فلما تم القضاء على ثورة الزنج سنة 270هـ اجتمع حوله فلولها وبدأ بما بدأ به صاحب الزنج من إظهار الزهد والتقشف والورع، فجذب إليه قلوب الناس، وكان يخفي وراء هذا السلوك هدفا سياسيا، كان لا بد من دعمه بظاهرة التدين. وقد دعا إلى مذهب فيه مزيج من المزدكية الفارسية واليهودية والنصرانية والإسلام، وحط من شعائر الإسلام فجعل الصلاة أربع ركعات، ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها، وجعل القبلة والحج إلى بيت المقدس وجعل الصوم يومين في السنة، وهما يوم المهرجان ويوم النيروز وعدل في الأذان، وفرض جزية على من خالفه وأباح قتله إن أمكن ذلك، وأخذ يفسر آيات القرآن بتأويل، بدعى أن آياته وأحكامه تأويلا باطنيا يفسر به ظاهرها، ومن ثم عرف مذهبهم بالباطنية.

وادعى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من الرسالة ومن النبوة وسلم الأمر إلى علي بن أبي طالب حين خطب في الناس يوم الغدير فقال: من كنت وليه فعلي وليه، اللهم انصر من نصره وعاد من عاداه فأصبح النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك تابعا ومحجوبا بعلي. وأن الإمامة المطبوعة بطابع النبوة آلت من بعد علي إلى الحسن والحسين ثم إلى علي زين العابدين ثم إلى محمد الباقر ثم إلى جعفر الصادق ثم إلى إسماعيل ثم إلى محمد بن إسماعيل وهو الإمام السابع<sup>2</sup>.

وقد كثر أتباع قرمط وكثر دعائه فكان منهم زكرويه وولده يحيى والحسين، وأبو سعيد الجنابي وأبو طاهر القرمطي، وقد أقام هؤلاء دولة لهم في القطيف والبحرين واليمن وقادوا حروبا في العراق أرادوا بها انتزاع الخلافة، ونازعوا الفاطميين زعامة الدعوة، فهاجموا قواعدهم في الشام وهما بمهاجة القاهرة وقد تمكن الفاطميون من صدهم، وفي سنة 317هـ أغاروا على مكة فقلعوا الحجر الأسود وقتلوا الحجاج، وحملوا الحجر الأسود إلى القطيف عاصمة ملكهم وأعادوه سنة 239هـ لقاء السماح لهم بفرض ضريبة على الحجاج.

ومن تتبع الأسباب التي انطلقت منها ثورة الزنج، ثم ثورة القرامطة والتأمل بنتائجها نجد أنها ترجع إلى سببين مفترقين ومتوازيين، فالأول منهما هو استغلال الضجر والضييق من استبداد الولاة ومن إرهاب عمال الخراج، يضاف إلى بؤس الفقراء الذين يعانون ألم الجوع والعطالة والحرمان، وكان هؤلاء مع كل دعوة للتحرر من الظلم الذي يحل بهم والضييق الذي يكابدونه. وقد اختار دعاة الثورة جنوب العراق والمناطق المجاورة له لبعدها عن بغداد وعجز الدولة عن تتبع الثائرين، والسبب الثاني هو استغلال دعاة

<sup>1</sup> المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت 346 هـ - 957 م) - مروج الذهب، تحقيق، محمد محي الدين حميد، مطبعة السعادة، مصر طبعة 1958م. لتنبيه والإشراف، لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1402هـ - 1981م، ص 187.

<sup>2</sup> ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي، (ت 873هـ - 1469م) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق، نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة طبعة عام 1997م، ص 435.

الثورة جهل العامة وسلخهم من العقيدة الإسلامية من دعاة يحملون حطام دياناتهم السابقة التي ما زالوا متأثرين بها<sup>1</sup>.

## **المحاضرة السابعة: أسباب انهيار الخلافة الإسلامية:**

يعود انهيار الخلافة الإسلامية إلى عدة أسباب أهمها:

### **1/ نظام الخلافة**

يقوم نظام الخلافة في الإسلام على قاعدة (الشورى)، وقد تقرر هذا المبدأ في القرآن الكريم بقوله تعالى: وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وتأييد هذا المبدأ بقوله تعالى لنبيه: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ وقد طبقه النبي صلى الله عليه وسلم فكان يشاور أصحابه في الأمور التي ليس فيها حكم من أحكام الله، وبذلك أصبحت (الشورى) مدار الحكم في الإسلام.

ويتم اختيار الخليفة من مجموعة تضم من اجتمع فيه العلم والحزم والتقوى، واتصف بالحكمة والعدالة، وقد عرف هؤلاء بأهل الحل والعقد، فمن وقع اختيارهم عليه بايعوه وبايعه الناس، ويعتبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أن يسير بسيرته ويستن بسنته ويتبع نهجه، فإذا حاد حق خلعه، فإن استعصى وجب قتاله.

ولما انتقلت الخلافة إلى بني أمية بزعامة معاوية بن أبي سفيان تحقق لهم ما كانوا يطمحون إليه وما كانوا يطمعون فيه، فبدلوا نظام الشورى بنظام الإرث. وقد عهد معاوية بالخلافة من بعده لابنه يزيد وانتزع البيعة له بالمال لمن يخضع للمال، وبالقوة لمن يخضع بالقوة، وانتقلت الخلافة من بعده إلى بني مروان ابن الحكم، بعد أن تنازل عنها معاوية الثاني ابن يزيد بن معاوية واتسع بعد ذلك نطاق الخليفة، فأصبح الخليفة يعهد إلى ابنين أو أكثر من أبنائه يتوارثونها واحدا بعد آخر بالترتيب الذي يقرره، كما فعل عبد الملك بن مروان بن الحكم فقد عهد بالخلافة من بعده إلى أبنائه: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام. وقد توسط عمر بن عبد العزيز بين سليمان ويزيد بعهد من سليمان<sup>2</sup>.

واستقر نظام الخلافة في الدولة الإسلامية بعد ذلك على نظام الإرث وأصبحت البيعة رسماً شكلياً يقبل عليها الناس، يتقدمهم الأمراء والكبراء والعلماء، وتؤخذ عليهم الأيمان المغلظة مع الحلف بالطلاق والعناق لكي لا يتحللون منها. وفي العصر العباسي الثاني لم يعد أحد يبالي بالبيعة بعد أن أصبح مصير الخلافة بيد المتغلبين. وقد ترتب على وراثته الخلافة أمران: الصراع من أجل الخلافة وظاهرة الاستبداد والظلم.

### **2/ الصراع من أجل الخلافة :**

في البداية ظهر هذا الصراع بين أسرتين: الأسرة الهاشمية والأسرة الأموية. وبعد زوال الدولة الأموية سنة 131 - 132 هـ ثار الصراع بين فرعين من الأسرة الهاشمية الأسرة العلوية الطالبية وزعيمها علي بن أبي طالب والأسرة العباسية وزعيمها العباس بن عبد المطلب يجمعهما جد مشترك هو هاشم بن

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 114.

<sup>2</sup> ابن النجار، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، (ت 402 هـ - 1011 م) - عجائب البلدان، تحقيق أنور محمود الزناتي، نشر مكتبة الثقافة الدنية سنة 2007 م، ص 150.

عبد مناف. وقد كانت هذه الأسر الثلاث تقيم حقها في الخلافة، لا على نظام الشورى، بل على نظام الإرث من السلف إلى الخلف، ولكل منها حجته<sup>1</sup>.

فالأسرة الهاشمية كانت تقيم حقها في الخلافة على قربها من الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت تقدم عليا بن أبي طالب في هذا الحق. والأسرة الأموية كانت تقيم حقها في الخلافة على المطالبة بدم عثمان الأموي واتهام علي بن أبي طالب بالتراخي في حمايته والامتناع عن قتل قاتليه. ولما انتزع الأمويون الخلافة، لم يستسلم الهاشميون لهم ولم يذعنوا، واتخذوا أسلوب الدعوة السرية في الدعوة لأنفسهم وشاركهم في هذه الدعوة العباسيون، واتخذوا شعارا موحدا هو الدعوة (للرضي من آل محمد)، أي لمن يرضى عنه المسلمون من آل محمد وانضم إلى دعوتهم الساخطون على الحكم الأموي ومعهم الموالي من الفرس.

ومن خلال الدعوة السرية تجهزت الحملات العسكرية واندفعت لتلاقي محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية في معركة (الزاب)، وفيها خسر محمد بن مروان الحرب وانهارت به الدولة الأموية التي دامت 92 عاما، وبدأ بعد ذلك صراع جديد بين الأسرتين العلوية والعباسية. فقد تمكن العباسيون من انتزاع النصر فبايعوا عبد الله أبا العباس بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بالخلافة. وتحول التحالف إلى صراع بين العلويين والعباسيين، وقام معه صراع بين العباسيين أنفسهم. فقد عهد الخليفة أبو العباس الذي تلقب بلقب (السفاح) بالخلافة من بعده إلى أخيه أبي جعفر (المنصور) ومن بعده إلى ابن أخيه عيسى بن موسى، ولكن أبا جعفر أجبره على التنازل عن ولاية العهد إلى ابنه محمد (المهدي)<sup>2</sup>.

وولى المهدي العهد من بعده إلى ابنه موسى (الهادي) ومن بعده إلى ابنه الثاني هارون (الرشيد) فأراد موسى الهادي أن يخلع أخاه هارون ويعهد لابنه جعفر القاصر فمانعته أمه الخيزران وكانت تكرهه، وكان موقفها منه من أسباب موته، ولما تولى هارون الرشيد الخلافة ولى عهده ثلاثة من بنيهم: محمد (الأمين) وعبد الله (المأمون) والقاسم (المؤتمن) على أن يلوا الخلافة بهذا الترتيب، ولما تولى الأمين الخلافة عزل أخاه المأمون من ولاية العهد وعهد بالخلافة من بعده إلى ابنه القاصر موسى، وكان هذا التصرف من أسباب الصراع بينهما وانتهائه بقتل الأمين.

وولى المأمون عهده من بعده إلى أخيه محمد (المعتصم) متجاوزا ابنه (العباس)، ولم يطب للعباس ما فعله أبوه فأنمر بقتل عمه مع بعض القادة، ولما تولى جعفر (المتوكل على الله) الخلافة عهد بالخلافة من بعده إلى ابنه محمد (المنتصر) ثم أراد تقديم أخاه محمد (المعتز) عليه في ولاية العهد، فأنمر المنتصر على قتل أبيه مع قادة من الأتراك ونفذ القتل وتربع المنتصر عرش الخلافة ولم يلبث بها سوى ستة أشهر ثم مات، وقيل مات مسموما.

واستمر الصراع من أجل الخلافة في العصر العباسي الثاني يثيره المتغلبون، كما أوضحنا ذلك من قبل. وقد جرى مثل هذا الصراع في دولة الأندلس، فقد تأمر على قتل عبد الرحمن الداخل ابن أخيه المغيرة، ومعه نفر من أبناء عمومته، فقبض عليهم عبد الرحمن سنة 166 هـ وقتلهم. وخلفه في الحكم ابنه هشام (الأول) فثار عليه أخواه سليمان وعبد الله، وامتدت ثورتهم إلى عهد ابن أخيهما الحكم (الأول) ابن هشام وتمكن من القضاء على ثورتهم بقتل الأول واستئمان الثاني والعفو عنه، ولما تولى الإمارة عبد الله (الأول) ابن محمد سنة 275 هـ أقدم ابنه المطرف على قتل أخيه محمد، حين علم أن أباه سيعهد إليه

<sup>1</sup> الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (ت 463 هـ - 1070 م) - تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 154.  
<sup>2</sup> ابن العبري، غريغوريوس الملطي، (ت 685 هـ - 1268 م) - تاريخ مختصر الدول، الطبعة الثانية، بيروت 1958 م

بالإمارة من بعده، ثم توالى الصراع من أجل الخلافة، فقتل المستعين ابن عمه محمدا المهدي، ثم قتل المستعين وقتل من بعده المستظهر، وانتقل الصراع إلى الطوائف، فكان بين الأبناء والإخوة والأعمام حروب، استعان فيها كل جانب بملك من ملوك الفرنجة أو بزعيم للمرتزقة وكان أشهرهم (الكمبيادور)، ويصبح الملك الإسباني هو الأمر بعد القيام بمهمته، يفرض الإتاوة على من استنصر به، فإذا عجز أو تأخر احتل إمارته وطرده منها<sup>1</sup>.

ولم يظهر الصراع في الدولة الفاطمية إلا في آخر عهودها، حين انتزع المستعلي الخلافة من أخيه نزار وكان أبوه المستنصر قد عهد بها إليه، ثم قتله، وكان قتله من أسباب انقسام الدولة الفاطمية ومعها المذهب الإسماعيلي إلى (مستعلية) و (نزارية)، كما أوضحنا ذلك من قبل، وقد وقف الفقهاء من نظام الإرث في الخلافة موقف المسلم بالأمر الواقع، فأجازوا للخليفة أن يعهد بالخلافة إلى ابنه أو إلى ابن أخيه، ثم أجازوا أن يعهد بالخلافة لعدد من أبنائه يتوارثونها على الترتيب الذي يقرره، كذلك أجازوا خلافة من ينال الخلافة بالغصب، حتى لو كان فاجرا، لكيلا يبيت المسلمون بلا خليفة. وبذلك يدخل في باب الإجازة جميع الخلفاء والملوك والأمراء الذين شملتهم قاعدة الإرث، البر منهم والفاجر.

### **3/ ظاهرة الاستبداد والظلم :**

لما انتقل نظام الخلافة من قاعدة الشورى إلى نظام الإرث، وأصبحت البيعة رسما شكليا، تؤخذ بالرغبة أو الرهبة، ادعى الخلفاء أن سلطانهم مستمد من الله، وأنه حق إلهي ممنوح لهم يحكمون الناس بهذا الحق وأن طاعتهم مفروضة على الشعب، لأنها من طاعة الله. وقد أمر الله بطاعتهم في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فمن عصاهم عصى الله، ومن أطاعهم أطاع الله، فهم خلفاؤه<sup>2</sup>.

وقد أضحى اسم الخليفة منذ خلافة عبد الملك بن مروان (خليفة الله) وأن ما يفعله الخليفة وما يأمر به، إنما هو من أمر الله وقدره، فلا يسأل. ومن أجل ذلك حاربوا من يقول بأن الإنسان يخلق أفعاله بقدرته وأنه يسأل عنها، لأنهم إنما يفعلون ما يصدر عنهم بأمر الله، فلا يسألون عما يفعلون. وقد اتبع خلفاء بني العباس هذا النهج في تبرير سلطانهم، وقد عبر عنه أبو جعفر المنصور في خطبة ببيعه بقوله: "إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوقيقه وتسديده".

وباستمداد الخليفة سلطته من الله، أضحى حقه في الحكم (حقا إلهيا)، وسلطانه مطلقا لا رقيب عليه، يتصرف على هواه ويعزو تصرفه إلى قدر الله وتسديده. وقد نشأ عن ذلك انحراف عن خطة الإسلام. فالإسلام لا يسلم بالحكم المطلق، بل يمنح المؤمنين حق الرقابة على أعمال الحاكم وتصرفاته، وهذا الحق مستمد من قوله تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَتَمْنَحُ هَذِهِ الرِّقَابَةَ الْحَقَّ فِي نَقْضِ بَيْعَةِ الْحَاكِمِ وَعَزْلِهِ إِذَا خَرَجَ عَلَى حَكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ. وقد تأيد حق المؤمنين في رقابة الحاكم في خطاب أبي بكر حين تولى الخلافة فقال: "أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني، وإن رأيتُموني على باطل فسد دوني<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن طيفور، أحمد بن أبي الطاهر (ت 280هـ - 893م) كتاب بغداد، تحقيق زاهد الكوثري، نشر مكتبة الثقافة الإسلامية مصر القاهرة، طبعة سنة 1368م، ص 124.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 123.

<sup>3</sup> نفسه، ص 135.

أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم. ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق له، وأضعفكم عند القوي حتى أخذ الحق منه"، لقد وضع أبو بكر دستور الحكم وديمقراطيته ودعا الناس إلى مراقبة أعماله، وجعل نفسه القدوة في طاعة الله وتطبيق أحكامه، ومنحهم الحق في عزله إذا حاد عن طاعة الله وخالف أحكامه.

ومن هنا نرى الفارق الجسيم بين حكومة الإسلام التي أوضح قواعدها أبو بكر وكان القدوة الصالحة في ممارستها، وبين أكثر الخلفاء الذين قامت خلافتهم على قاعدة الإرث ومنحوا أنفسهم السلطان المطلق، وقد ترتب على ممارسة الخليفة سلطانه المطلق نشوب هذا العدد الكبير من الثورات، وكانت ظاهرة احتجاج على الظلم والاستبداد، وقد أنهكت موارد الدولة وأضعفت قوتها. وكان من مظاهر الاستبداد إكراه الناس على أمر اعتقد الخليفة صوابه وآمن به، كما فعل المأمون حين طلب من الفقهاء أن يؤمنوا معه بأن القرآن مخلوق، فمن لم يستجيب له أمر بقطع رزقه، وحبسه، ومنهم من مات في حبسه كما جرى مع أبي مسهر الغساني، شيخ مشايخ الشام.

وسار المعتصم من بعد أخيه المأمون سيرته في امتحان الفقهاء بمحنة (خلق القرآن)، فجلد الإمام أحمد بن حنبل حتى تقطع جلده وزاد في الشدة من بعده ابنه الواثق، فقتل الفقيه أحمد بن نصر الخزاعي بيده وصلبه، وأمر بسجن الفقيهين البويطي وابن حماد فماتا مسجونين، وفي الفداء الجاري بين المسلمين والروم سنة 231 هـ أمر أن لا يفتك من الأسر من يأبى القول بخلق القرآن، وقد أجاب جميع الأسرى بخلقه. ولم تكن مسألة خلق القرآن من الأمور التي تمس سلامة الاعتقاد، ولكن يكفي أن يكون الخليفة قد اعتقدها ليكرهه الناس عليها<sup>1</sup>.

ومن مظاهر الاستبداد أن يأمر الخليفة بقتل من يعكر صفو مزاجه، كما فعل الأمين حين جلس يصطبح في بستان قصره - وهو محاصر من قبل جيش أخيه المأمون - فدعا جارية لتغنيه، فغنته بشعر تشاءم منه، فرماها بكأس شرابه وأمر أن تلقى في حظيرة السباع، ومن مظاهر الاستبداد أن يسأل الخليفة محدثه عن أمر فيجيبه بما لا يسره فيأمر بقتله، كما فعل المتوكل حين سأل ابن السكيت شيخ عصره في النحو واللغة، ومؤدب ولديه المؤيد والمعتز، أيهما أفضل: ولداه أم الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب فكان جواب ابن السكيت إن قنبرا مولاهما أفضل من ولديه، فأمر المتوكل أن يدرج ابن السكيت في بساط وأن يضرب بالسياط حتى يموت، ونفذ فيه حكم الخليفة وضرب حتى مات<sup>2</sup>.

أمام مشاهد الاستبداد والظلم فريقين: فريق أراد الدنيا فدخل في دنيا الخلفاء ونال حظه منها، ومنهم من زين أفعالهم فازداد منهم قربا. وفريق أراد الآخرة وسعى لها فتنكب عنهم وصمت على مضض، وأبى أن ينال عملا من ولاية أو قضاء، لكيلا يعمل في ظل حكم جائر فيسأل عنه. ومن هؤلاء الإمام أبو حنيفة النعمان وسفيان الثوري وعبد الله بن إدريس وعبد الله بن وهب ووکیع بن الجراح وآخرون غيرهم.

ويلحق بهذا الفريق من تزهد وتصوف وأعرض عن الدنيا واعتزل أهلها وانصرف إلى عبادة الله والتأمل في ملكوته، فصفت نفسه ورقت وأمتعته بلذة روحانية لا تعدلها لذة الحياة المادية. وبهذا الفريق بدأ عهد التصوف كظاهرة رفض للحياة المترفة واحتجاجا على شيوع الظلم والاستبداد، وكان من أوائل أهل

<sup>1</sup>السيوطي عبد الرحمن بن الكمال بن جلال الدين (ت 911 هـ - 1505 م). تاريخ الخلفاء، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، 1952م، ص 105.

<sup>2</sup>المصدر السابق، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آبا، طبعة 1940م، ص 234.

الزهد والتصوف إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وجعفر بن مبشر والحارث المحاسبي وذو النون المصري.

وقد اشتدت ظاهرة الظلم في العصر العباسي الثاني وتضاعفت مع مضاعفة السلطة بين الخلفاء والمتغلبين. فقد أضيفت إلى وسائل القتل السمل والنخ والقصد وقطع الأعضاء والحبس في المطامير والتوسيط , والموت عطشا وجوعا والطرح تحت أقدام الفيلة والإلقاء في حظيرة السباع. فكان الخليفة أو القائد المتغلب يختار لمن يقتله الميتة بإحدى هذه الوسائل أو يجمع بينها كما كان يفعل المقتدر والمعتضد، وأصبح القتل عند بعضهم ملهاة، كالقاهر فقد صنع حربا يلهو بها ويرمي بها من يشاء فيقتله. وفي الأندلس نجد ظاهرة الاستبداد وشدة البطش عند خلفاء بني أمية وعند أمراء الطوائف، وقد تجلت بإقدام بعضهم على ذبح أنبائهم بأيديهم لخروجهم عليهم، كما نوهنا بها من قبل. ومن أشهر أمثلة البطش إقدام المعتضد بن عباد أمير إشبيلية، على الغدر ببعض أمراء الطوائف الذين كان يطمع بالاستيلاء على أملاكهم، فقد دعاهم إلى حفلة أقامها لهم، حتى إذا حضروا أطعمهم ثم حبسهم في مكان مغلق وقتلهم واحتفظ برؤوسهم في صناديق، ولهذا العمل سابقة أقدم عليها الخليفة أبو جعفر المنصور فقد وجد في خزانته جماجم قتلاه من بني أمية<sup>1</sup>.

ولم يكن الفاطميون أقل بطشا بالناس. فقد قتل الحاكم بأمر الله المئات لأنهم أكلوا ما نهى عنه أو خرجوا في وقت منع الخروج فيه، أو فعلوا ما نهى عن فعله. وجرى ابنه الظاهر على سنته فقد روى الإمام السيوطي أنه دعا سنة 423 هـ ألفين وستمائة جارية، فحضرن بأكمل زينتهن. فلما اكتمل جمعهن بنى عليهن بيوتا ثم أضرم فيه النار فاحترقن.

وقد أدى اشتداد ظاهرة الظلم في العصر العباسي الثاني إلى نشاط التصوف والتفاف العامة حول المتصوفة، يجدون العزاء عندهم والاطمئنان، ويلتمسون في جوارهم الصبر على احتمال الظلم وتعزية النفس بوعيد الله الانتقام لهم، وكان من أشهرهم سري السقطي والجنيد وبنان الزاهد والقشيري وغيرهم.

## **المحاضرة الثامنة: تابع لأسباب انهيار الدولة العباسية .**

### **1/ الزواج من أجنبيات :**

كانت زوجات وأمهات الخلفاء في عهد الخلفاء الراشدين من شرائف النساء ومن أعراق عربية كذلك كان خلفاء العهد الأموي. فالخليفة لا يولى إذا كانت أمه أعجمية. من ذلك أن مسلمة بن عبد الملك بن مروان كان أولى بالخلافة من سائر إخوته، لما اشتهر به من شجاعة وبطولة، ولكنه لم ينل الخلافة لأنه ابن جارية تسرى بها أبوه.

ولم يشذ عن القاعدة سوى اثنين من خلفاء بني أمية هما: يزيد بن الوليد بن عبد الملك ومروان بن محمد بن الحكم، آخر خلفاء بني أمية، فأمر يزيد فارسية تدعى (شاه فرند) وهي بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى، آخر ملوك الفرس، وأم مروان بربرية من قبيلة (نفزة) بالمغرب الأقصى<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، (ت 681 هـ - 1282 م). وفيات الأعيان وأبناء هذا الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت ، طبعة 1968م ، 206 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 212.

أما زوجات وأمهات خلفاء بني العباس فجميعهن من الجواري المحررات، من فارسية ورومية وتركية وأرمينية وبربرية، باستثناء ثلاثة منهم وهم: أبو العباس السفاح والمهدي والأمين. كذلك كانت زوجات وأمهات أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس، فقد كن من نساء النصارى المسيبات أو المهداة إلى الأمراء والخلفاء وفيهن من بنات ملوك وأمراء النصارى الإسبان .

ومن أشهر النساء في دولة بني العباس، الخيزران زوجة المهدي وأم ولديه موسى (الهادي) وهارون (الرشيد)، وقبيحة زوجة المتوكل وأم ولده المعتز، وشغب زوجة المعتضد وأم ولده المقتدر. ومن أشهر النساء في دولة الأندلس طروب زوجة الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني وأم ابنه عبد الله. وصبح زوجة الخليفة الأموي الحكم المستنصر الأندلسي وأم ولده هشام (المؤيد)<sup>1</sup> .

وقد جرى على هذه السنة الوزراء والحجاب وملوك الطوائف، فقد تزوج المنصور بن أبي عامر ابنة (سانشو الثاني) ملك (نافار) ثم تزوج ابنة (برمود الثاني) ملك (ليون)، وكان زواجه منهما لغرض سياسي أريد منه التقوى بمن صاهروه على أعدائه من ملوك آخرين أو على أمراء من المسلمين كانوا قد خرجوا عليه. وتزوج المعتمد بن عباد أمير إشبيلية جارية من جواري نخاس يدعى (ابن رميك)، فعرفت بالرميكية كذلك كان شأن الخلفاء الفاطميين.

وقد كان لهؤلاء الجواري الأمهات دورا في سياسة الدولة أدى إلى صراع من أجل الخلافة وانشقاق بين الأخوة وأبناء العمومة، وكان ذلك من أسباب ضعف الدولة وانهيارها، من ذلك ما كان للخيزران زوجة المهدي، من شأن في عهد زوجها، فكان الوزراء والكبراء يقفون على بابها لحاجاتهم. ولما تولى ابنها موسى (الهادي) الخلافة أراد الحط من شأنها ومنعها من التدخل في شئون الدولة فعملت على قتله.

\* (قبيحة) زوجة المتوكل أغرت زوجها بتقديم ابنها (المعتز) على أخيه المنتصر في ولاية العهد، فكانت سبب قتل زوجها المتوكل.

\* (شغب) فقد كان لها الكلمة العليا في قصر الخلافة، ويكفي للدلالة على ذلك أن قهرمانتها تولت النظر في المظالم.

\* (طروب) فقد دبرت مؤامرة لقتل زوجها عبد الرحمن بن الحكم لتدفع عن ابنها (عبد الله) منافسة أخيه (محمد) في خلافة أبيه، وقد اكتشف زوجها عبد الرحمن المؤامرة وتغابى عن فعل زوجته وظل محتفظا بإيثاره لها ودلها عليه لفرط حبه لها، وكان له معها خبرا يدل على شدة هيامه بها تراه في ترجمتها. وهذه صبح زوجة الحكم المستنصر فقد فرضت ابنها (هشام) لولاية العهد ولما يبلغ الحادية عشرة من عمره<sup>2</sup>.

وهذه الرميكية تفتن زوجها بدلها وتصيبه بجمالها فينطلق في التغزل بها بشعر عذب رقيق، وتصرفه عن أمور الدولة إلى لهو أغرى به ألفونسو السادس الملك الإسباني، فهم بالانقضاض عليه، لولا أن أنجده يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين، فدفع عنه الإسبان ثم استولى على ملكه ونفاه إلى المغرب الأقصى مع زوجته وأولاده ولا ريب أن الأمهات الأجنبية قد خلقن أبناءهن بأخلاقهن ورسخت فيهم تقاليدهن التي

<sup>1</sup> ابن رافع، تقي الدين محمد بن هجرس السلامي، (ت 774 هـ - 1372م) الوفيات، تحقيق، صالح مهدي عباس، بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ص 207.

<sup>2</sup> لسمعاني، الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، (ت 562 هـ - 1167م) - الأنساب، تقديم وتعليق، عبد الله عمر البارودي، نشر دار الجنان، 1990، ص 222.

نشأن عليها ورفعن إلى سدة الحكم أبناء فيهم من لم يبلغ الحلم، وفيهم من عاش في نعيم القصور فغلب عليه اللهو والمجون، وتولى الحكم أعوان، من وزراء وقادة، فانقادوا لأطماعهم وأهوائهم وكانوا من أسباب انهيار الدولة .

## **2/ تجنيد الموالى:**

لما تولى المعتصم بن الرشيد الخلافة قضى على الطابع العربي في الجيش، فسرّح العرب ومحا اسمهم من ديوان الجند وأحل محلهم جندا من الأتراك، كان يأتي بهم من تركستان أطفالا، ويتولى تربيتهم وتدريبهم على الحرب والقتال، وقد تربي على حبهم في أحضان أمه التركية، وتمكن بهم من القضاء على ثورة بابك الخرمي وبهم انتصر على الروم في وقعة (عمورية)، وعظم شأنهم في عهد الخليفة الواثق ومن بعده المتوكل، وارتقى فريق منهم إلى رتبة القادة.

ونرى الجاحظ يتملق الوزير التركي الفتح بن خاقان في رسالة رفعها إليه، يمتدح فيها مناقب الترك، ويبين الفرق بين ما يمتاز به التركي عن العربي في البسالة ومقارعة الأبطال، ويقول على لسان التركي: (ولنا في أنفسنا ما لا ينكر من الصبر تحت ظلال السيوف القصار والرماح الطوال، ولنا معانقة الأبطال عند تحطم القنّاة وانقطاع الصفائح، ونحن أهل الثبات عند الجولة، والمعرفة عند الحيرة وأصحاب المشهرات، وزينة العساكر، وحلي الجيوش، ومن يمشي في الرمح بين الصفيين مختالا<sup>1</sup>.

المعتصم قد استطاع أن يقمع بهم ثورة بابك، وأن يهزم الروم في وقعة عمورية فإنه لم يزد بهم شبرا واحدا على الحدود التي وقف عندها الفتح العربي في عهد بني أمية، وقد تم بسواعد عربية. ذلك أن الأتراك كانوا مقاتلين ولم يكونوا مجاهدين يعملون لنشر رسالة ودعوة إيمان.

ومن ذلك الوقت أضحى الإسلام في حالة دفاع عن الحدود التي وقفت عندها فتوح الخلفاء الراشدين ومن بعدهم بنو أمية. وقد تحول الجند الموالى إلى جنود مرتزقة، يغتصبون إذا ما تأخرت أرزاقهم ويهددون بالعصيان وقد رتبوا لأنفسهم حقوقا عند نصب الخليفة يعرف برسم البيعة، وهكذا حل الجنود المرتزقة من ديلم وفرس محل العرب، وفقدت ساحات الجهاد الساعد القوي وقبضة السيف الصارم، فوقفت الفتوح عند الحدود التي عادت فيها السيوف العربية إلى أغمادها.

## **3 / حياة الترف والسرف :**

عاش الأعرابي قبل الفتح الإسلامي مترحلا بين البوادي، من مكان يقيم فيه ثم يرحل عنه، لا يخلف فيها بقايا أناف كان يرفع قدره عليها، فيصبح بعد رحيله طلالا، فإذا مر به بعد ذلك وقف عنده فنثر ذكرياته وحنينه بشعر يفيض رقة وعذوبة، ولم يكن يعرف من العيش، إلا ما كان يتوفر له من (مذيقة) يشربها ويضع تبلغ بها، فإذا ما أصاب شيئا من ذلك، صح عزمه واشتد ساعده، وغدا ليث حرب لا يقارع .

لما قدم ذلك الأعرابي إلى العراق فاتحا، رأى عجينا مبسوطا، فظنه قماشا، فلما أكله مخبوزا استطابه وقال: هذا والله رقيق العيش، ومن ثم دعي بالرقاق. ثم رأى الكافور فظنه ملحا، فلما ذاقه وجده مرا فطرحه ، ثم أخذت الفتوحات تتوالى وتتسع حتى بلغت منتهاها في العصر الأموي، فانبسطت له أسارير

<sup>1</sup> السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، ( ت 771هـ - 1370م ) ، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1413هـ، ص 168 .

الدنيا وأخذ يعب من أفوايقها . وفي العصر العباسي بلغ السرف غايته عند الخلفاء والأمراء والوزراء وسرا الناس، وتطاولت القصور، واتسعت الدور، تخطر في أبهائها جوار كنس من كل جنس ولون فيهن الحسان للمتعة وفيهن القيان للغناء، وأصبحت المذيقة والتميرات الخمس الكوانز ورسوم الأثافي الدوارس التي كانت تستوقف ذلك الأعرابي وتثير ذكرياته وعبراته<sup>1</sup> .

وقد حفلت قصور الخلفاء بمجالس الطرب، يرتادها الشعراء ويتبارون بوصف ما يجري فيها من لهو وعبث، فينالون بما تجود به قرائحهم وتنطلق به لهواتهم، الجوائز على أقدارهم. وقد دونت أخبار تلك المجالس وما كان يجري فيها من إسراف باللهو والمجون في دواوين الشعراء وكتب الأدب والأخبار، وتروي لنا أخبار العصر العباسي الأول مشاهد اللهو والعبث في مجالس الخلفاء، وما كان يدور فيها من الشراب، يعبون منه حتى تميل الكؤوس بالرءوس. وأصبح الإفصاح عن الخمرة أمرا شائعا لا حرج فيه<sup>2</sup> .

ويروي لنا الطبري أن المتوكل شرب ليلة قتله حتى أخذ منه الشراب وجعل يأكل وهو سكران. ولم يكن الوزراء والكتاب أقل ولعا بالشراب من أسيادهم الخلفاء ومنهم طاهر بن الحسين وعمرو بن مسعدة والحسن بن رجا والحسن بن وهب.

وكانت الأديرة تشد إليها طلاب الخمرة المعتقة، وقد أعدت لطلابها كل ما ينعش القلب ويجلو الهم ويلذ السمع ويبهج الأبصار. وقد شحذت قرائح الشعراء بأرق الشعر وأحلاه، من ذلك ما قاله جحظة البرمكي في دير العذارى. ولم يكن ارتياد الأديرة مقصورا على الشعراء وغيرهم من طلاب النشوة بل كان يرتادها الخلفاء والوزراء والكبراء، وقد روى أبو الفرج الأصبهاني أن الرشيد كثيرا ما كان ينزل هذا الدير ويشرب فيه . ومثله أحمد بن عبيد الله الخصبي وزير المقتدر فقد كان مدة وزارته مشغولا بالشراب وقد وكل الأمور إلى نوابه فأمنوا بذلك مصالحهم<sup>3</sup>.

من مشاهد اللهو والعبث ومظاهر الترف والسرف ما روي عن ترف الخليفة المقتدر، فقد كان مبذرا مؤثرا للشهوات، وقد وزع جواهر الخلافة ونفائسها على حظاياه. ومن فنون لهوه أنه أراد في يوم أن يشرب على نرجس في بستان قصره، وكان وقت تسميد الزرع، فاستبدل السباد بالمسك، بمقدار ما احتاج إليه البستان من السباد وسمد به، وجلس يشرب يومه وليلته، واصطبج من غده، فلما قام أمر بنهب المسك، فأنته به الخدم والعاملون في البستان واقتلعوه من أصول النرجس، وخرج منه مال عظيم. ومن مشاهد الترف والسرف ما كان ينفق في أعراس الخلفاء، ففي عرس الرشيد على زبيدة بنت جعفر بن المنصور، قدم الرشيد ما لم يقدم لامرأة قبلها من الجوهر والحلي والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة، وقد بلغت نفقة هذا العرس من مال بيت المال - سوى ما أنفقه الرشيد - خمسون ألف ألف (مليون) درهم.

<sup>1</sup> المصدر السابق ابن رافع، الوفيات ، ص 210 .

<sup>2</sup> ابن شداد الحلبي، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي، ( 684هـ - 1258م) - الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، تاريخ لبنان والأردن وفلسطين، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهرسه سامي الدهان، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1992م، ص 130 .

<sup>3</sup> المصدر السابق ،السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى، ص 113.

وفي عرس المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل وزعت رقاع بأسماء ضياع وقصور وصلات، وجعلت الرقاع في بنادق المسك، ونثرت بين أيدي العروس، فكان الذي يلتقط شيئاً يحبس عليه، وقد قدرت نفقة ذلك العرس بأربعين ألف ألف (مليون) درهم، عدا ما أنفقه والد العروس.

ومن مشاهد الترف والسرف ختان أبناء الخلفاء، فقد حفظ التاريخ لنا وصفا مسهباً لاحتفال الخليفة المتوكل بختان ولده المعتز، وقد بلغت نفقاته ستة وثمانين ألف ألف درهم، وقيل إن الناس كانوا يستكثرون ما أنفق في عرس المأمون ثم أتى ما أنفق في ختان ابن المتوكل ما أنسى ذلك، ومثله ما أنفقه الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر في إعداده (ختان) حفدته بقصر الزهراء<sup>1</sup>.

ومن مشاهد الترف والسرف النهم في الطعام وفي النكاح. فالأعرابي الذي كانت ترويه رشفة لبن وتشبعه بضع تميرات، بها كان يشد ساعده وتقوى عزيمته، قد زهد في مطعمه ومشربه حين أضحي منه الخليفة والأمير والقائد والوزير، وأقبل على المطاعم الشهية، تقدم إليه في أوان من ذهب وفضة، يأكل مما فيها بنهم شديد، فلا يكاد يشبع، وتدار عليه الخمرة في كؤوس، تشع من خلالها أنوارها فيصيب منها ما يشاء ولا يكاد يرتوي. ثم يخلو بمن شاء من جوار كنس، فتمتعه بكل فنون الحب وتصبيه وتنال بدلها كل ما تشتهي. وقد يعلو سلطانها على سلطانه، فيجمع بين طيب الطعام وطيب المضجع، وهو ما يسميه العرب بالأطيبين: النكاح والطعام<sup>2</sup>.

وقد أدى الإفراط فيهما إلى اعتلال أمزجة من ولي السلطة من خليفة أو سلطان، وموتهم في سن مبكرة، فقد مات أكثرهم في ميعة الصبا والشباب، وقليل منهم من تجاوز الخمسين من عمره، وكان لا اعتلال أمزجتهم أثر في سياسة الدولة. وكيف يرجى ممن كان همه الأطيبان أن يسوس دولة، وقد ضنى جسمه واعتل مزاجه ووهنت أعصابه، فأصبحت كلمة من يرضى نهمه أو يوفره له هي العليا، وضعفت نفسه عن تحمل ما لا يرضيه، فيأخذ بالظنة، ويحكم السيف في الرقاب، وقد أزاح سيف الجلال ميزان العدل فأصمت الحق، وأضحى قوله مهلكة يطلبها من أراد الاستشهاد.

ولم تقتصر مجالس الخلفاء ومن سار سيرتهم من السلاطين على مشاهد الترف والسرف بل كانت تحفل باللهو والعبث، فكان الندماء يقومون بضروب اللهو الماجن، وربما تحلل الحضور من أبهة الملك لمزيد من العبث. وقد تأسى الوزراء والكبراء بسيرتهم ومنهم من كانت تجري في مجالسهم مشاهد فيها نوع طريف من اللهو، من ذلك ما رواه ابن خلكان وغيره عن الوزير المهلب، وزير معز الدولة البويهى سلطان بغداد.

فقد روى إنه كان من ندمائهم قضاة وفقهاء، منهم القاضي علي بن محمد التنوخي والقاضي أبو بكر بن قريعة والقاضي ابن معروف وآخرون، فكان يجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة والتبسط في القصف الخلاعة، فإذا أصبحوا عادوا كعادتهم إلى التوقر والحشمة.

### **المحاضرة التاسعة: السلطنة السلجوقية في أوجها (1055 – 1092)**

<sup>1</sup> السيوطي عبد الرحمن بن الكمال بن جلال الدين (ت 911 هـ - 1505 م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، 1952م، ص 76.

<sup>2</sup> روجي، أبي الحسن علي بن عبد الله محمد بن أبي السرور، كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى وتواريخ الخلفاء، تحقيق محمود زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ص 129.

وفق أكثر النظريات انتشاراً؛ فإن السلاجقة هم جمهرة من القبائل التركية الرحل المحاربة، كانت تستقر في الصين، وانتقلت منها إلى بخارى؛ حيث اعتنقت الإسلام في عهد مؤسسها سلجوق، ثم استطاعت تحت زعامة طغرل بك السيطرة التدريجية على أملاك الدولة الغزنوية، ثم الدخول إلى بغداد بناءً على طلب الخليفة، الذي عين طغرل بك سلطاناً، وخطب باسمه في 15 ديسمبر، سنة 1055 م، الموافق 22 رمضان، سنة 447 هـ، ولقبه «بملك المشرق والمغرب»، وزوجه ابنته<sup>1</sup>.

وإثر وفاته عام 1063 م، كان طغرل بك قد حقق استقراراً سياسياً واقتصادياً في الأوضاع، وقد خلفه ألب أرسلان الذي امتد حكمه حتى القدس، واستطاع عقب انتصاره في معركة ملاذكرد تأسيس دولة سلجوقية في الأناضول، هي الأولى من نوعها، غير أنه قتل في إحدى معاركه عام 1064 م، وتلاه ابنه جلال الدولة ملك شاه، الذي شهدت سلطنته وفاة الخليفة القائم بأمر الله، بعد خلافة استمرت خمسة وأربعين عاماً، تعكس الاستقرار وتحسن الأوضاع المعيشية، وبوبع المقتدي بأمر الله بالخلافة<sup>1</sup>.

وقد اهتم ملك شاه بالعلوم والفنون، وشيّد في بغداد مرصداً فلكياً، ومسجداً كبيراً دعي: جامع السلطان وقد برز في عهده أيضاً عمر الخيام، كما ثار القرامطة في البصرة في عهده عدة مرات، وبوفاته عام 1092 م أخذت الدولة السلجوقية بفقدان قوتها؛ إذ تفرقت إلى عدة دول مستقلة في بلاد الشام والعراق وبلاد فارس وغيرها، بل تحولت الساحة إلى دسائس، وتحالفات بين الملوك السلاجقة ضد بعضهم البعض، بهدف توسيع إمارتهم.

لا شك أن تكلفة هذه الحروب الداخلية المستمرة، لم تؤثر فقط على الاستقرار الاجتماعي في البلاد؛ فقد أثرت على الوضع الاقتصادي أيضاً بسبب كلفتها الباهظة، ما سهّل تحقيق انتصار الحملة الصليبية الأولى عام 1098 م، وكان المستظهر بالله حينها يشغل منصب الخليفة منذ عام 1094 م .

## **1/ حروب السلاجقة وغروب دولتهم (1092 – 1136) :**

استطاعت الحملة الصليبية الأولى تأسيس أربعة ممالك لاتينية في المشرق؛ هي: إمارة الرها، وإمارة أنطاكية، وإمارة طرابلس، ومملكة بيت المقدس، التي كانت تحت سلطة الخلافة الفاطمية مجدداً منذ عام 1096 م، ولم يستطع السلاجقة ردع الصليبيين عن ساحل بلاد الشام، بيد أنهم صدّوا تقدمهم نحو أنقرة وقلب الأناضول، كما أوقفوا تقدمهم تجاه حلب والعراق عموماً. أما العراق وخلافته فكانا منشغلين بالحروب الداخلية، والثورات التي يقودها القرامطة؛ فلم يتم إعناء مقاومة الصليبيين أو ردعهم أية أهمية تذكر، وقد نقل أنه في أعقاب سقوط القدس عام 1099 م زار وفد من أهالي المدينة الناجين الخليفة المستظهر بالله، فاعتذر منهم مبدئياً عواطفه، ثم عاد وأرسل عام 1111 م جيشاً صغير الحجم بقيادة مودود بعد مضايقة الصليبيين لحلب<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> لعصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي، (ت 1111 هـ - 1699 م)- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق عادل أحمد عبد الله الموجود ، وعلى محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1998 م. ، ص 218 .

<sup>2</sup> المبرد، أبي المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي (ت 286 هـ - 899 م) بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام احمد بمدح أو ذم ، تحقيق وتعليق روحية السوفي ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1413 هـ. ، ص 96 .

في أواخر عهد المستظهر بالله استقرت الأوضاع للسلطان محمد السلجوقي، غير أن وفاته عام 1118 م فجّرت الوضع مجدداً بين وريثه محمود السلجوقي وأخيه داود وبعض أعمامه، وإثر وفاة الخليفة المستظهر بالله في أغسطس 1118 م أصبح المسترشد بالله خليفة، وفي خلافته ظهر عماد الدين زنكي والي الموصل، والذي وسع أملاكه ضاماً حلب وحمص، وتلاه ابنه نور الدين زنكي الذي ضم دمشق ومصر. وخلال نمو الدولة الزنكية كانت حروب السلاجقة الداخلية لتزال مستمرة؛ فانتصر مسعود السلجوقي على ابن أخيه محمود، وقتل الخليفة المسترشد عام 1135 م أثناء محاربة مسعود مدافعاً عن محمود، وأصبح الراشد بالله خليفة من بعده، غير أن السلطان مسعود السلجوقي سرعان ما خلعه، فهرب الخليفة إلى أصفهان؛ حيث قتل عام 1136 م، وأصبح المقتفي لأمر الله خليفة من بعده.

## **2/ الخلفاء يستعيدون السيطرة على بغداد (1136 – 1242)**

استطاع المقتفي لأمر الله أن يستقل بحكم بغداد وجوارها عن السلاجقة المشتغلين بمحاربة بعضهم بعضاً، ودَعَمَ الأسرة الزنكية التي بلغت شأناً عالياً في محاربة الصليبيين، واستطاعت استعادة الرهان منهم وعندما توفي عام 1170 م بويغ ابنه المستجد بالله بالخلافة، فاستمر بسياسة والده الرامية إلى الحفاظ على استقلال بغداد وجوارها، وأرسى إصلاحاتٍ سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة، وكان في خلافته أن خطب للعباسيين في مصر على يد الدولة الزنكية، بعد وفاة آخر الخلفاء الفاطميين العاضد لدين الله، وبذلك توحدت الخلافة الإسلامية مجدداً.

كما شهدت خلافته قيام السلطنة الأيوبية بقيادة صلاح الدين الأيوبي، الذي سيطر على بلاد الشام والحجاز واليمن ومصر وبرقة، واستطاع صلاح الدين في عهد الخليفة المستضيء بأمر الله استعادة القدس وعدد آخر من المدن التي كانت واقعة تحت سيطرة الصليبيين عام 1187 م، في أعقاب معركة حطين، وتصدى للحملة الصليبية الثالثة!

وتلا المستضيء ابنه الناصر لدين الله الذي استطاع، كما فعل والده وجده، الحفاظ على الجزء الأكبر من العراق مستقلاً تحت إدارته الفعلية لا إدارة الوزراء أو الجيش، وقد دعا عدد من المؤرخين فترة هؤلاء الخلفاء الذين استقلوا بالعراق باسم: «فترة استعادة هبة الخلافة»، وقد توفي الناصر لدين الله، الذي اشتهر بالحكمة والحكمة، بعد خلافة طويلة دامت خمسة وأربعين عاماً في أكتوبر، سنة 1225 م.

في الواقع؛ إن وضع العراق، خلال عهد الناصر لدين الله، كان أفضل بكثير من سائر أمصار الدولة العباسية؛ فبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي عام 1193 م، ودفنه في دمشق، اقتسم أولاده السبعة عشر سلطنته المترامية الأطراف، وكما فعل السلاجقة من قبلهم، تحارب الأمراء الأيوبيون، وشكلوا أحلافاً ضد بعضهم البعض، واستوردوا قبائل تركية وشركية، دعيت لاحقاً باسم المماليك. أما أحوال أقصى المشرق الإسلامي؛ كبخارى وكابل وجوارهما، فكانت سيئة هي الأخرى، بسبب تعرضهما للغزو والتخريب من قبل المغول بقيادة جنكيز خان، على أن ما وصل من أخبار ذلك العصر في العراق وسواه، لا تفيد

---

ألكتيبي، محمد بن شاكر، (ت 764 هـ - 1362 م) فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1974 م، ص 104.

بأوضاع ثقافية جيدة أو دعم للعلوم والفنون من قبل الخلفاء وحاشيتهم، كما كان الحال في عصر الدولة الذهبي<sup>1</sup>.

تلا الناصر ابنه الظاهر بأمر الله، لكنه توفي بعد عام واحد فقط، وصارت البيعة لابنه المستنصر بالله عام 1226م، وقد أسس الجامعة المستنصرية، ونقل المؤرخون أنه أسس دورًا لضيافة الفقراء، وإعتاق الرقيق، وفي خلافته سيطر المغول على بلاد فارس، محاذين بذلك العراق.

### **3 / خلافة المستنصر بالله ونهاية الدولة (1242 – 1258) :**

وفي المستنصر في ديسمبر من سنة 1242م، وتلاه ابنه المستنصر بالله، آخر العباسيين في بغداد، والذي شهدت خلافته نهاية محطات مهمة في تاريخ الخلافة العباسية؛ منها فشل الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة، وهما آخر الحملات الصليبية، مما عجل في نهاية تلك الحقبة، وعمومًا؛ فإنه باستثناء الحملات الصليبية الأولى والثالثة والرابعة، التي توجهت إلى القسطنطينية، لم تحقق أية حملة صليبية نصرًا هامًا وطويل الأمد في المناطق التي استولت عليها، وفي أعقاب الحملة الصليبية الثامنة، كانت أملاك الصليبيين الأساسية في المشرق تقتصر على أنطاكية وطرابلس وعكا؛ كجزر متناثرة، وغير متصلة جغرافيًا. كذلك شهدت خلافته نهاية السلطنة الأيوبية عام 1250م، بعد وفاة الملك الصالح أيوب، واستلام شجرة الدر السلطنة مكانه لثمانين يومًا، ليقوم جند زوجها بخلعها، والسيطرة على الحكم أما الحدث الثالث فتمثل بسقوط بغداد حاضرة الخلافة، على يد المغول بقيادة هولاكو خان التتري؛ حيث سار هولاكو على رأس جيش ضخم، بأمر من إمبراطور المغول منكو خان، الذي أمر أن يخرج معه كل ذكر قادر على حمل السلاح في الإمبراطورية، ثم انضم للجيش قبائل أرمينية وجورجية وتركية وفارسية<sup>2</sup>.

ويرى المؤرخ ألان دمورجيه أن الجيش الصليبي المرابط في أنطاكية وطرابلس كان أيضًا من المشاركين في الهجوم ، طالب هولاكو الخليفة المستنصر بالله بالاستسلام، ولكن الخليفة رفض محذرًا المغول من العقاب الإلهي الذي سيحلّ بهم في حال هاجموا الخلافة؛ يشير الكثير من المؤرخين إلى أن أحد أسباب نجاح الهجوم المغولي هو الحالة الضعيفة للجيش العباسي، وتسريح عدد كبير من جنده لتقليص النفقات خلال تولي ابن العلقمي شؤون الوزارة، فضلًا عن ضعف استحکامات المدينة، وعدم تقوية أسوارها؛ يقول ديفيد نيكول: إن الخليفة، بالإضافة لفشله بتجهيز آلية الدفاع عن المدينة بشكل جيد، قد أساء كثيرًا لهولاكو بتهديده إياه، إضافة إلى وثوقه المبالغ فيه لوزيره ابن العلقمي، ما أسهم في تدمير المدينة والخلافة، مع أن مونكو خان أمر أخاه هولاكو بالمحافظة على الخلافة إن وافق الخليفة الخضوع لسلطة المغول<sup>3</sup>.

قبل التوجه إلى بغداد، دمر هولاكو قبائل اللور، ومن ثم حصل استسلام الإسماعيليين، المعروفين أيضًا باسم الحشاشيين بعد أن حاصر حاضرتهم قلعة الموت في شمال إيران، على شواطئ بحر قزوين،

<sup>1</sup> ابن العجمي، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ، (ت 1086هـ - 1665م) -الاعتباط بمن رمي بالاختلاط ، تحقيق، علاء الدين علي رضا ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1988م. ، ص 87 .

<sup>2</sup> العجلي ، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن الكوفي، (ت 840هـ - 1436م) معرفة الثقات، تحقيق، عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، 1405هـ - 1985م، ص 65.

<sup>3</sup> ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب القسطنطيني ، (ت 810هـ - 1407م) الوفيات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، طبعة 1983م ، ص 321 .

ورغم ذلك قتل هولاكو الكثير منهم، باستثناء نصير الدين الطوسي وأتباعه الذين لحقوا بجيش هولاكو المتوجه لمحاصرة بغداد منذ عام 1256 م. قسم هولاكو جيشه إلى قسمين، وضرب حصارًا حول بغداد بدءًا من يوم 29 يناير سنة 1258 م؛ دمر المغول السدود وقنوات الري، ما أسهم في تدمير الزراعة، وإفاضة المياه داخل المدينة، ثم إن قصف المقالع و المجانيق ، (المنجنقات)، سهل سقوط استحکامات العباسيين؛ الواحدة تلو الأخرى، حتى أحاط المغول بالمدينة من كل جانب يوم 5 فبراير 1258م/ 30 محرم 656هـ. حاول المستعصم أن يفاوض المحاصرين، لكن هولاكو رفض، واقتحم بغداد يوم 10 فبراير 1258م/ 4 صفر 656هـ، مرتكبين مذابح بحق أنبائها، وبحسب بعض المصادر؛ بلغ عدد القتلى من الجند والمدنيين مليوني شخص، بل إن المغول عمّدوا إلى قتل كل من حاول الفرار من الأهالي، ويُذكر أن هولاكو أمر بنقل مقر المخيم بسبب روائح الموت المنبعثة، كما بدؤوا عمليات سلب ونهب، ثم إحراق؛ فتلفت المكتبات وما تحويها، وقيل إن مياه نهر دجلة تحولت إلى اللون الأسود لكثرة ما رمي فيها من أوراق محترقة، وكذلك حال المساجد والقصور والجامعات. أما الخليفة فقد أمر هولاكو بحبسه، ثم منع عنه الطعام والشراب حتى مات في 20 فبراير 1258م، لتزول بذلك الخلافة العباسية في بغداد<sup>1</sup>.

### **المحاضرة العاشرة:العصر العباسي الرابع السلطنة المملوكية**

#### **الخلافة العباسية في القاهرة (1261 – 1517) :**

كان قد مضى ثلاث سنوات والعالم الإسلامي دون خليفة، وكانت تلك أطول فترة شغور منذ تأسيس الخلافة في القرن السابع؛ على الرغم من أن السلطان الأيوبي في دمشق قد بايع أبا العباس أحمد خليفة، ليضفي الشرعية على سلطنته، ويجابه المماليك ذوي القوة المتصاعدة في مصر.

لقد أصبح المماليك في عهود ضعف الدولة العباسية القوام الوحيد للجيش، والمنبع الأساسي للسلطة؛ أما ممالك مصر فقد تمّ استفادتهم على يد السلاطين الأيوبيين، وهم في الغالب شراكسة بيض، يتم تعليمهم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن وفنون القتال منذ الصغر. تولى المماليك حكم مصر عام 1250 م، بعد انقراض السلطنة الأيوبية، ولم يعتمدوا في كثير الأحيان نظام الحكم الوراثي، بل اعتمدوا نظام التوافق من ناحية، والانقلابات بين زعماء الكتائب من ناحية أخرى، وقد توالى واحدٌ وأربعون سلطانًا مملوكيًا في ستٍّ وأربعين ولاية، ووطد المماليك أقدامهم فيها، ثم استطاعوا السيطرة على بلاد الشام والحجاز واليمن، مؤسسين بذلك سلطنة واسعة المساحة.

خلال هذه الأثناء؛ خلع سيف الدين قطز السلطان نور الدين علي بن أيبك، وقاد نفسه شؤون السلطنة، ثم حشد الجيش وخرج به من مصر نحو بلاد الشام؛ حيث كان هولاكو، بعد أن دمر حلب، قد أحرق دمشق.وقد التقى الجيشان في معركة عين جالوت في الجليل، عام 1261 م، وكانت الغلبة في هذه المعركة الفاصلة للمماليك، ثم توفي قطز على طريق العودة إلى مصر، وأصبح الظاهر بيبرس سلطانًا من بعده. كان بيبرس ناجحًا في معاركه مع الصليبيين؛ ففتح يافا وأنطاكية والقلاع المحيطة بهما، والتي بقيت عصية على الفتح حتى سنة 1268 م<sup>2</sup>.

وعندما سيطر قطز على دمشق، في أعقاب معركة عين جالوت، أراد خليفتهما التوجه إلى القاهرة، لكنه عدل عن رأيه واتجه إلى حلب، التي كانت لا تزال تحت حكم الأيوبيين؛ حيث بايعه أميرها ولقبه

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 254.

<sup>2</sup> المرجع السابق ، قاسم عبده قاسم ، المماليك أصولهم وتاريخهم ، ص ، 128 .

بالحاكم بأمر الله. غير أن شهرة هذا الخليفة كانت محدودة؛ فلم يخطب له خارج إمارة حلب على عكس سائر الخلفاء، حتى عندما لم تكن لهم أية سلطة؛ فالخطبة في صلاة الجمعة تعتبر هامة للخليفة، ولذلك فقد عمد أغلب الباحثين إلى إسقاط خليفة حلب من قائمة الخلفاء، واعتبار هذا محاولة إحياء للخلافة. غير أن المحاولة الناجحة كانت على يد الظاهر بيبرس عام 1262 م؛ فبعد أن أفاده وزراؤه بوصول الأمير أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله، عقد بيبرس حفلاً حضره رجال الدولة والشرع، أثبت خلاله صحة نسب الأمير، ثم تمت مبايعته بالخلافة رسمياً، ولُقب بالمستنصر بالله، وأمر بأن يضرب اسمه على النقود، ويذكر في خطبة الجمعة<sup>1</sup>.

طلب بيبرس من الخليفة أن يكتب له تفويضاً مطلق الصلاحية في إدارة الدولة وتسيير شؤونها، فمنحه الخليفة هذا التفويض الذي لم يترك له أية صلاحية، فاقتصر دوره أن يكون رمزاً للدولة ومصدر شرعيتها. وقد نصّ التفويض أيضاً على أن تعمل الدولة على استعادة بغداد، وإعادة كرسي الخلافة إليها، وهو ما تمّ فعلاً، عندما خرج الخليفة بنفسه على رأس جيش نحو العراق، إلا أنه قتل في إحدى المعارك مع المغول قبل بلوغه بغداد، بعد خلافة قصيرة دامت بضعة شهور فحسب. ويرى عدد من المؤرخين أن الخليفة الجديد لم يكن راضياً عن نزوله لبيبرس بالسلطة، وأنه كان يطمح من خلال قيادته الجيش إلى الاضطلاع بدور سياسي مستقبلاً. أما في القاهرة فقد بوبع الحاكم بأمر الله الثاني بالخلافة، ومكث بها ثلاثة عقود.

عموماً؛ فإن الدولة العباسية، بمعنى الدولة، قد سقطت مع سقوط بغداد عام 1258 م. أما الخلافة العباسية فقد استمرت حتى 1517 م، كرمز للدولة، ودورها الديني في كنف الدولة المملوكية، ولم تسقط الخلافة العباسية إلا بعد سقوط الدولة المملوكية.

ففي أعقاب معركة مرج دابق، التي انتصر بها السلطان سليم الأول العثماني على المماليك، توجه بجيشه نحو الجنوب، ففتح أغلب مدن بلاد الشام سلباً، ومنها انعطف نحو مصر؛ حيث هزم آخر المماليك لأشرف طومان باي، بعد معركة الريدانية قرب القاهرة.

وقد اصطحب معه لدى رجوعه من القاهرة آخر الخلفاء العباسيين المتوكل على الله الثالث، والذي تنازل له عن الخلافة، وسلمه رموزها؛ أي: بُرْدَة النبي محمد، وسيف عمر بن الخطاب، وبذلك لم تؤل الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين فحسب، بل انتهى الفرع الأول من فروع الخلافة؛ كما صنف المؤرخون، وهو الفرع العربي، أو بشكل أكثر دقة فرع قريش؛ إذ إن جميع الخلفاء السابقين، سواء أكانوا راشدين أم كانوا أمويين أم كانوا عباسيين، ينتمون إلى قبيلة قريش، وهي قبيلة النبي محمد، وافتتح الفرع الثاني، وهو فرع آل عثمان<sup>2</sup>.

#### **دول العباسيين بعد زوال خلافتهم (1517 – 1967) :**

نشأ عدد من الدول التي حكمتها السلالة العباسية، بحكم موقعها ورمزيتها في العالم الإسلامي، بعد زوال الدولة العباسية، وفي بعض الحالات قامت الإمارات العباسية قبل زوال خلافتها، وإن كان بشكل مستقل عنها، كما لم يطلب أحد من هؤلاء الأمراء الحق بالخلافة، بعد زوال الخلافة العباسية نهائياً عام 1517 م، أو بعد إلغاء الخلافة عام 1922 م. وعموماً؛ فإنه لا يزال إلى اليوم، يعيش في مختلف بقاع العالم الإسلامي عدد كبير من الأسر التي تعود بأصلها للأسرة العباسية، ومنها بشكل أساسي في المملكة العربية السعودية، واليمن وتركيا، وإيران وبلاد الشام، ومصر والسودان، والهند وباكستان

<sup>1</sup> المرجع السابق ، محمد سهيل طقوش ، دور المماليك في التاريخ الإسلامي ، ص 96 .

وأفغانستان وأوزباكستان. وعلى الرغم من انقراض آخر دولهم عام 1967 م، برز عدد من العباسيين في مواقع مؤثرة؛ كالرئيس السوداني عمر حسن البشير، والشيخ الشريف ماجد العباس مؤذن المسجد الحرام في مكة، وغيرهما .

**\*إمارة بهد ينان:** أقدم الإمارات العباسية المستقلة تأسيساً، ويعود قيامها إلى عام 1367 م، في كردستان العراق، على يد الملك بهاء الدين العباسي، أحد أحفاد الخليفة المستعصم بالله. وكانت مدينة العمادية، الواقعة في محافظة دهوك حالياً، عاصمتها، وقد تمددت في أوجها لتشمل أجزاءً من محافظتي أربيل ونيوى. عاشت هذه الإمارة زمناً طويلاً، استطاعت فيه الحفاظ على استقلالها، رغم كونها تقع على حدود إمبراطوريتين عظيمتين ومتحاربتين بشكل دائم؛ هما الإمبراطورية العثمانية، والإمبراطورية الصفوية، وعلى الرغم من ذلك لم تكن نهايتها على يد إحدى هاتين الإمبراطوريتين؛ إذ كانت نهايتها على يد إمارة كردية منافسة وقريبة منها، هي إمارة سوران عام 1834 م، وسرعان ما قضى العثمانيون<sup>1</sup>.

**\*إمارة الجعليين:** قامت في شمال السودان المعاصر، وينتسبون مباشرة إلى العباس بن عبد المطلب، دون أن يكونوا من ذرية أحد الخلفاء العباسيين؛ في القاهرة أو بغداد. وبعد اندثار المماليك هرب قسم من العائلة المالكة إلى السودان؛ حيث أعلنوا استقلالهم عام 1588 م، على يد سعيد أبو دبوس، وقد اتخذ الجعليون من مدينة شندي عاصمة لهم. توالى على حكم الإمارة سبعة عشر أميراً عباسياً، إلى أن قضى عليها والي مصر محمد علي باشا، خلال فتحه السودان عام 1823 م، موحداً بذلك وادي النيل<sup>2</sup>.

**\*مملكة الشايقية:** قامت في شمال السودان، وهم أبناء عمومة الجعليين، ويرجع نسبهم إلى شايق بن حميدان، أحد أحفاد إبراهيم جعل؛ (الجد الجامع لقبائل الجعليين العباسية)، ابن الأمير إدريس بن قيس، الذي ينتهي نسبه إلى العباس بن عبد المطلب مباشرة، دون أن يكون من ذرية أحفاد الخلفاء، وقد أعلن الشايقية استقلالهم عن سلطنة سنار في القرن السابع عشر، واستمرت مملكتهم حتى عام 1821 م؛ حيث سقطت على يد محمد علي باشا أثناء غزوه للسودان<sup>3</sup>.

**\*مملكة بهاو لبور:** قامت في السند عام 1702 م، على يد الأمير محمد المبارك خان الأول، ويعود استقرار بعض القبائل العباسية في الهند إلى بداية العهد العباسي، وهم من المنتسبين مباشرة للعباس بن عبد المطلب، دون المرور بالخلفاء. وقد تميزت مملكتهم بالرفاه الاقتصادي والاهتمام بالعلوم والآداب، خصوصاً العلوم الشرعية، ولم يتم القضاء بواسطة الحرب على هذه الإمارة، بل إنه، وفي أعقاب استقلال الهند عام 1947 م، وتقسيمها إلى دولتين؛ هما: الهند وباكستان، اختار آخر الأمراء العباسيين في بهاو لبور الانضمام طوعاً إلى باكستان في 5 أكتوبر 1947 م.

**\*إمارة بستك العباسية:** تأسست عام 1673 على يد الأمير عبد القادر بن الحسن، أحد أحفاد هارون الرشيد. شملت منطقة الأهواز وضاف الخليج العربي على الجانب الإيراني من الخليج، وقد توالى على حكمها أحد عشر أميراً، حتى قضى عليها شاه إيران محمد رضا بلهوي عام 1967 م؛ فكانت بذلك آخر دولة حكمت من قبل السلالة العباسية. وقد انتقلت الأسرة الحاكمة إلى المملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، والبحرين.

<sup>1</sup> محمد أمين زكي، التاريخ الكردي القديم والحديث، الطبعة الأولى، دار السليمانية، 1931، ص 75.

<sup>2</sup> محمد عبد الله محمد، تاريخ الجعليين، الطبعة الأولى، جامعة الخرطوم، 1973، ص 95.

<sup>3</sup> مكي شيك، تاريخ الشايقية، الطبعة الأولى، دار جامعة الخرطوم، 1972، ص 123.

## **الدويلات المستقلة في عهد الدولة العباسية:**

الدويلات المستقلة عن الدولة العباسية بدأت مرحلة تفكك الدولة العباسية خلال القرن التاسع الميلاد، وقد كانت من نتائج ضعف الدولة العباسية نشوء كيانات ودول مستقلة عن الخلافة في بغداد.

### **1/ الدولة الأموية : (756م - 1031م)**

تأسس الدولة الأموية في الأندلس (756م - 1031م) استطاع عبد الرحمن بن معاوية الملقب بصقر قریش تأسيس دولة أموية في الأندلس وعاصمتها قرطبة، وذلك بعد انهيار الدولة الأموية في دمشق وسقوطها على يد العباسيين في عام 750 م .

سيطرت الدولة الأموية في الأندلس على كل مدن الأندلس وعلى أجزاء كبيرة من المغرب العربي، وقد تميزت بالنهضة الثقافية والحضارية والمعمارية، وتعدّ قرطبة مركز العلم والحضارة في المغرب العربي والأندلس كما بغداد كانت للمشرق، وقد كان هذا التقدم يدخل في صلب الصراع بين العباسيين والأمويين.

بالرغم من قوة الأمويين وسيطرتهم على الأندلس وأجزاء من المغرب العربي إلا أن لكل دولة نهاية، وقد كانت نهاية الدولة الأموية بسبب الخلاف الداخلي في البيت الأموي، والذي أدى إلى سيطرة الحاجب المنصور على السلطة بشكل تدريجي، ممّا أدى إلى نهاية الحكم الأموي، وتقسيم الأندلس إلى دويلات مدن تحكمها عوائل مختلفة، وقد كانت العلاقة بين الدولة الأموية في الأندلس والدول العباسية في بغداد علاقة ندية تاريخياً حاول فيها الطرفان السيطرة على المدن في المغرب العربي لصالحه لإضعاف الدولة الأخرى.

أبرز حكام الأندلس من الأمويين: عبد الرحمن بن معاوية: (138 هـ - 172 هـ). هشام الأول بن عبد الرحمن: (172 هـ - 180 هـ). الحكم بن هشام: (180 هـ - 206 هـ). عبد الرحمن الثالث الناصر: (300 هـ - 350 هـ). هشام الثاني بن الحكم: (366 هـ - 399 هـ)<sup>1</sup>.

### **2/ الدولة الأيوبية: (1174م - 1250م)**

نشأت الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبي الدولة الأيوبية (1174م - 1250م)، استطاع صلاح الدين السيطرة على بلاد الشام ومصر وإسقاط الدولة الفاطمية، ومن ثم سيطرت الدولة على الحجاز واليمن وأجزاء من المغرب العربي.

قسّم صلاح الدين الدولة بين أبنائه وأخو العادل قبل وفاته، وكان القرار بمثابة تفكيك الدولة وكتابة سقوطها سريعاً، فقد اشتعل الخلاف بين الأخوة وتحول إلى قتال وتحالفات عسكرية مع الصليبيين ضد بعضهم البعض، وبسبب هذا التقسيم كان سقوط الدولة الأيوبية سريعاً.

كانت مدينة القاهرة عاصمة الدولة الأيوبية، خلال فترة حكم صلاح الدين الأيوبي، ومن ثم قسّمت الدولة إلى أجزاء، وأصبحت في قتال دائم بين بعضها البعض ومع الصليبيين، كما أسهم الأمراء الأيوبيون

<sup>1</sup> عبد الله بن سعيد بن عيسى ، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، الطبعة الأولى ، الرسالة ، 1990 ، ص 170.

بتحرير بيت المقدس والقضاء على الحملات الصليبية في مصر وبلاد الشام، وكانوا في طليعة المقاومة العسكرية لهم على الرغم من تحالف بعض أمراء الأيوبيين مع ملوك الفرنجة في فترات مختلفة<sup>1</sup>.

أبرز حكام الدولة الأيوبية هم: صلاح الدين الأيوبي: (569 هـ - 588 هـ). عثمان بن صلاح الدين: (588 هـ - 594 هـ). ناصر الدين محمد بن عماد الدين: (594 هـ - 596 هـ). ناصر الدين محمد بن سيف الدين: (614 هـ - 635 هـ). أيوب بن ناصر الدين محمد: (637 هـ - 646 هـ)<sup>2</sup>.

### **3/ الدولة المملوكية (648هـ - 923هـ) :**

تأسست الدولة المملوكية (648هـ - 923هـ)، في مصر بعد سقوط الدولة الأيوبية في مصر، وقد أسهم انتصار المماليك في معركة عين جالوت ضد المغول بتعزيز قدرتهم على الإمساك بزمام الدولة في مصر وبلاد الشام، سيطر المماليك على مناطق مصر والشام والحجاز، يقسم المؤرخون الدولة المملوكية إلى قسمين هما: البحرية والبراجية، وسيطرة المماليك على الدولة نتيجة لضعف الأيوبيين وبسبب قوتهم العسكرية التي أوقفت الزحف المغولي على مصر وبلاد الشام.

اشتهر المماليك بأنهم من أنهى الغزو المغولي لبلاد الشام وقاوموا الصليبيين في منطقة بلاد الشام، وقد استقبلت الدولة المملوكية خلفاء بني العباس في القاهرة بعد سقوط بغداد بيد المغول وبقي آل العباس في القاهرة إلى أن سيطر العثمانيون على القاهرة خلال القرن السادس عشر ميلادية .

تقسم مراحل الدولة المملوكية إلى مرحلتين الأولى هي دولة المماليك البحرية والثانية دولة المماليك البراجية.

أشهر سلاطين المماليك هم: عز الدين أيبك: (648 هـ - 655 هـ). نور الدين علي أيبك: (655 هـ - 657 هـ). سيف الدين قطز: (657 هـ - 658 هـ). أبي الفتوح ركن الدين بيبرس: (658 هـ - 676 هـ). أبو المعالي قلاوون: (678 هـ - 689 هـ).

### **4 / الدولة الفاطمية (300هـ - 566هـ):**

قامت الدولة الفاطمية في مصر (300هـ - 566هـ)، وتأسست الدولة الفاطمية في المغرب العربي وأسّسوا مدينتي المهديّة والمنصورية، وقد كانوا على عداء دائم مع الدولة العباسية، وكانت الدولة الإسلامية الوحيدة التي اتخذت المذهب الشيعي الإسماعيلي، أسّس الفاطميون دولتهم الفاطمية أو العبيدية في مصر على أنقاض مدينة الفسطاط فكانت مدينة القاهرة، وسيطروا على مناطق شمال أفريقيا ومصر وجزيرة صقلية وبلاد الشام وأجزاء من الحجاز.

تأسست الدولة الفاطمية في تونس أو ولاية أفريقيا بعد هرب الفاطميين من العباسيين إثر الخلاف والثورة على حكمهم في بغداد، وانتهت الدولة الفاطمية وسقطت على يد صلاح الدين الأيوبي، وخاض خلفاء الدولة الفاطمية صراعاً طويلاً مع الدولة الأموية في الأندلس وحلفائها في المغرب العربي، كما حاول الفاطميون استدامة سيطرتهم في بلاد الشام والتمدد شرقاً نحو العراق والجزيرة العربية، وذلك في

<sup>1</sup> حسين مؤنس، الدولة الأيوبية في تاريخ الإسلام، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، 1973، ص 107.

<sup>2</sup> لمرجع السابق، قاسم عبده قاسم، المماليك أصولهم وتاريخهم، ص 99.

سبيل تحقيق هدفهم في إنهاء وجود الخلافة العباسية ونشر المذهب الشيعي انتصارًا لآل البيت بحسب اعتقادهم.

**أشهر حكام الدولة الفاطمية هم:**

المهدي أبو محمد عبيد الله: (297 هـ - 322 هـ).

المعز لدين الله معد: (362 هـ - 365 هـ).

العزیز بالله أبو منصور: (365 هـ - 386 هـ).

الحاكم بأمر الله منصور: (386 هـ - 411 هـ).

العاقد لدين الله عبد الله: (555 هـ - 567 هـ)<sup>1</sup>.

**5/ الدولة الحمدانية (318 هـ - 393 هـ):**

تأسست الدولة الحمدانية في مدينة الموصل على يد أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء الملقب بناصر الدولة، وهو من قبيلة تغلب العربية من العرب الأقحاح، تولى ناصر الدولة ولاية الموصل من قبل الخليفة العباسي المقتدر بالله، وبسبب طموحه السياسي وكرهه لسيطرة العجم على الدولة العباسية أسس دولته العربية في الموصل والتي امتدت لتسيطر على كل أرجاء شمال سورية وجنوب الأناضول.

تصارعت الدولة الحمدانية في ظل الخلافة العباسية مع الدولة البويهية والدولة الإخشيدية وكانت في قتال مستمر مع أرمينية، وبيزنطة وبعض القبائل العربية في بادية الشام، وبالرغم من العلاقة المطربة مع العباسيين، إلا أنهم سيطروا على منصب أمير الأمراء في بغداد لفترة وجيزة، وقد اشتهرت الدولة الحمدانية باحتضانها الشاعر الفحل أبي الطيب المتنبّي<sup>2</sup>.

حاول أمراء الدولة الحمدانية إعادة القوة للخلافة العباسية وللعرب بعد سيطرة القوميات الأخرى على الخلافة في بغداد، إلا أن ضعف الخلفاء العباسيين وقلة عدد العرب بالمقارنة مع القوميات الأخرى كالترك والفرس كان كابحًا لهذا التحرر وسيادة العرب، وبالرغم من ذلك استطاع الحمدانيون السيطرة على شمال سورية لفترات طويلة وإبقائها تحت السيطرة العربية.

**أشهر حكام دولة بني حمدان:**

الحسن بن أبي الهيجاء: (318 هـ - 358 هـ).

الحسين بن الحسن بن أبي الهيجاء: (379 هـ - 389 هـ).

سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء: (333 هـ - 356 هـ).

**6/ الدولة البويهية (320 هـ - 454 هـ):**

<sup>1</sup> عبد العزيز الدوري ، تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، 1984 ، 297 .

<sup>2</sup> عبد العزيز الدوري ، تاريخ الدولة الحمدانية، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، 1985 ، 267 .

سيطر عماد الدولة على بلاد فارس في عام 320 هـ، ومن ثم استطاع أحمد معز الدولة من دخول بغداد بطلب من بعض قادتها، وأعلن نفسه حامي الخلافة بالرغم من أن البويهيين من أصحاب المذهب الشيعي والخلافة العباسية تتبع المذهب السني، وذلك دليل على ضعف الخلافة العباسية، دخول معز الدولة بغداد ساهم في تعزيز قوة البويهيين وأسهم في تأسيس دولتهم التي سيطرت على كل العراق وعلى بلاد فارس، تحديداً مناطق كرمان التي أصبحت فيما بعد دولة مستقلة عن دولة البويهيين في العراق.

عزّز البويهيون أنفسهم كحكام للعراق وبلاد فارس بعد سيطرتهم على بغداد عام 320 هـ، ونصب نفسه كحامي للخلافة العباسية، ممّا عزز سيطرتهم على الجيوش العباسية المنتشرة في مناطق العراق وبلاد فارس وصولاً لبلاد الشام التي كانت تحت سيطرة الدولة الحمدانية في ذلك الوقت، وقد قسمت الدولة البويهية إلى ثلاثة أقسام واحدة في بغداد وأخرى في بلاد فارس وأخرى في مناطق إيران في مناطق الري وأصفهان، وكانت تتصارع وتتحد فيما بينها بحسب الوضع السياسي، وقد انتهت آخر دولة بويهية في منطقة كرمان في عام 454 هـ على يد السلاجقة الترك<sup>1</sup>.

اشتعل الصراع بين الدولة البويهية والدولة الحمدانية، ومن ثمّ مع الدولة العقيلية في الموصل لفترات طويلة؛ بسبب طمع البويهيين بالسيطرة على الخلافة بشكل كامل في بغداد وفي ربوع دولة الخلافة، ولكن في النهاية تمّت الإطاحة بهم؛ بسبب كثرة الصراعات والتحالفات السياسية والعسكرية في تلك الحقبة من تاريخ الدولة الإسلامية.

#### **أبرز حكام الدولة البويهية:**

عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه: (951م - 936م).

عضد الدولة بن ركن الدولة: (983م - 951م).

معز الدولة أحمد بن بويه: (967م - 956م)<sup>2</sup>.

#### **7/ الدولة الإخشيدية (323 هـ - 357 هـ) :**

أسّس محمد بن طغج الإخشيد دولته في مصر بعد أن كان والياً عليها من قبل الخليفة العباسي محمد الراضي بالله، وقد امتد نفوذها إلى بلاد الشام والحجاز أيضاً، وقد كانت الدولة الإخشيدية على صراع دائم مع الحمدانيين في حلب ومع الفاطميين في أفريقيا، وقد كان ضعف الدولة العباسية عاملاً عزز نفوذ ولايتها في المدن، فلذلك لوحظ أن الولاة في المدن ينفصلون بمدنهم وبلادهم عن الخلافة العباسية ويبقون موالين لها شكلاً، وقد كانت مصر من أهم الأمصار المنفصلة عن الخلافة العباسية لأسباب جغرافية أساساً<sup>3</sup>.

اشتهرت الدولة الإخشيدية بقصر عمرها وقوتها العسكرية التي مكنتها من الصمود أمام الهجمات الفاطمية وحصار الحمدانيين في حلب أغلب فترات عمر الدولة الإخشيدية، كما أن الأمير كافور الإخشيدى اشتهر كونه أول مملوك استطاع الوصول إلى الحكم والبقاء فيه طويلاً بمدة بلغت 22 عاماً.

<sup>1</sup> حسين مؤنس ، تاريخ البويهيين ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، 1975 ، ص254 ،

<sup>2</sup> يوسف زيدان ، الدولة البويهية تاريخها ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، 2007 ، ص174 .

<sup>3</sup> يوسف زيدان ، الدولة الإخشيدية تاريخها ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، 2008 ، ص98 .

**أشهر حكامها:**

محمد بن طنج بن جف الإخشيد: (935م - 945م).

أبو المسك كافور الليثي السوري: (946م - 968م).

**8/ الدولة الغزنوية (962 - 1187 م ) :**

هي دولة إسلامية تركية سيطرت على مناطق السند وشمال الهند، وعاصمتهم كانت غزنة في أفغانستان الحالية، وقبل تأسيسهم لدولتهم كانوا تحت السيطرة الإيرانية السامانية ، وقد أسسها ألب تكين أحد قادة جيوش السامان، وقد كانت العلاقة بين الخلافة العباسية والغزنويين جيدة، حيث أعترف الخليفة العباسي القادر بالله بالحاكم محمود غازي محاكم لهذه الدولة وتبادلوا الهدايا فيما بينهم، إلا أن العلاقة بينهم وبين البويهيين كانت سيئة لأسباب سياسية ودينية.

كانت الدولة الغزنوية دائمة الانشغال بالحرب كما الدول التركية الأخرى وتتقاتل مع غيرها من الدول التركية بشكل دائم، وقد كان السلاجقة الأكثر عداءً لهذه الدولة، ودارت المعارك بينهم بشكل شبه دائم، حتى استطاع السلاجقة إسقاط الدولة الغزنوية في عام 1187م وأسر الملك خسرو مالك.

**أشهر سلاطنة الدولة هم: <sup>1</sup>**

ألب تكين: (961م - 963م).

محمود الغزنوي: (998م - 1030م).

إبراهيم بن مسعود: (1059م - 1009م).

خسرو مالك: (1160م - 1186م).

**9/ الدولة الزييرية (973 - 1146 م) :**

تأسست الدولة الزييرية كسلالة حاكمة داخل الدولة الصنهاجية وسيطرت على مناطق المغرب العربي شمال أفريقيا، كانت الدولة الزييرية توالي الدولة الفاطمية الولاء، ولكنها وفي بداية القرن الحادي عشر ميلادي تبعت للدولة العباسية، ورفعت الأعلام السوداء وهي رايات الخلافة العباسية وقد قام الخليفة القائم بأمر الله العباسي بالموافقة على ولاية المعز بن باديس على ولاية أفريقيا والمغرب، وقد نشأت الدولة في المغرب العربي بعيداً عن سلطة الخلافة العباسية، إذ إنّ المغرب والأندلس كانتا أغلب الفترات منفصلتين عن الخلافة العباسية بحكم سيطرة الأمويين عليهما في فترات مبكرة من عمر الدولة العباسية.

**حكام الدولة الزييرية: <sup>2</sup>**

أبو الفتوح سيف الدولة: (973م - 983م).

أبو الفتوح المنصور: (983م - 995م).

<sup>1</sup> حسين مؤنس ، الدولة الغزنوية في سياق التاريخ الإسلامي ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، 1980 ، ص 244 .  
<sup>2</sup> حسين مؤنس ، الزييريون دراسة في السياسة و الإدارة ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية 1981 ، ص 104 .

شرف الدولة المعز ن باديس: (1015م - 1061م).

### **10 /الدولة العقيلية (990م - 1096م) :**

تأسست على أنقاض الدولة الحمدانية في حلب والموصل، وقد كانوا من حلفاء الدولة الفاطمية بحكم صلة العروبة والمذهب الشيعي، وقد سيطرت الدولة العقيلية على شمال بلاد الشام ووسطها وعلى أجزاء من الجزيرة الفراتية وجنوب الأناضول وشمال العراق، وقد كانوا على قتال دائم مع الدولة السلجوقية والسلاجقة، وقد أسسها الأمير أبو الدرداء محمد بن المسيب العقيلي في الموصل.

أكمل العقيليون نهج الدولة الحمدانية في قتال الدولة البويهية في العراق، وتصدّوا لهم في الموصل، وقد كان هدف العقيليين السيطرة على الموصل وما حولها فقط، بعكس الدولة البويهية التي حاولت السيطرة على الخلافة العباسية نفسها.

#### **أمراء الدولة العقيلية :**

حسام الدولة بن المسيب: (990م - 996م).

حسام الدولة أبو الحسن بن المسيب: (996م - 1001م).

معتمد الدولة أبو المنيع بن المسيب: (1001م - 1049م)<sup>1</sup>.

### **11/دولة آل حزرون الزناتيون (977م - 1070م):**

أسس حزرون دولته في مدينة سجل ماسة، هو حزرون بن فلفل، في منطقة المغرب الأقصى، وأنتصر بذلك على الخوارج وعلى دولة آل مدرار، وقد كان ولاؤه للدولة الأموية في الأندلس، ومن ثم انتقل ولاء آل حزرون إلى الفاطميين الذين قاتلوهم في الماضي وقاتلوا حلفاءهم في المغرب الأقصى وانتصروا عليهم، وتنتمي هذه الدولة إلى حقبة المغراويين في المغرب، وقد كانت قبائل زناتة هي المسيطرة في أغلب الأوقات على المغرب وجهة الأطلسي، إذ إنها من القبائل الأولى التي دخلت الإسلام بعد الفتح العربي للمغرب.

دامت دولتهم لأقل من قرن من الزمن، ولم تكن بينهم وبين الدولة العباسية أية علاقة بسبب البعد الجغرافي، وانتهت دولتهم على يد المرابطين.

وقد حكم دولتهم ثلاثة أمراء هم:

حزرون بن فلفل: (977م - 980م).

انودين بن حزرون . مسعود بن حزرون <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> يوسف زيدان ، الأوضاع السياسية في شمال العراق خلال فترة الدولة العقيلية ، الطبعة الأولى ، دار الشروق العربية ، 2008 ، ص 76.

<sup>2</sup> ابن النجار، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، ( ت 402هـ - 1011م)- ذيل تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى 2001 ، ص 104 .

### المحاضرة الحادية عشر : سقوط الدولة العباسية

في يوم الأربعاء 9 صفر 656 هـ الموافق 14 شباط (فبراير) 1258م، اجتاحت المغول طُرقات بغداد، واستباحوها وقتلوا كُلَّ نفسٍ صادفتهم ونهبوا وحرقوا كُلَّ ما صادفوه عدا بعض بُيُوتِ للرُّعاة والغُرَباء،<sup>1</sup> كما أَمَّنَ المغول سُكَّانَ بغداد المسيحيين على حياتهم بتوصية من زوجة هولاكو خاتون وكذلك اليهود ومن التجأ إلى دار ابن العُلُفمي، وطائفة من الثُّجَّار بذلوا المال ليسلموا وذويهم من القتل .

وكان أغنياء بغداد من المسلمين يُدركون المكانة التي يحتلها السُريان لدى هولاكو لذا سارعوا إلى وضع أموالهم أمانةً لدى بطريك السُريان النساطرة لكي لا ينهبها جنود هولاكو . وعرض هولاكو قصر الخلافة للبطريرك سالف الذكر، وأمر له ببناء كاتدرائية، وأقدم المغول على إحراق عدد من معالم المدينة وأماكنها المُقدَّسة، مثل جامع الخليفة ومشهد موسى الجَوَّاد ومقابر الخُلفاء<sup>1</sup>.

ودمَّروا بيت الحكمة وغيره من مكتبات بغداد النفيسة، وألقوا بالكُتب في نهر دجلة حتى أسودَّ لونه من المداد، وأشارت بعض المصادر أنَّه لمَّا كان المسلمون من أهل السُنَّة والشيعة على خلاف، فقد شارك الشيعة في نهب بغداد واستفادوا من المناسبات الأخرى لتصفية حساباتهم القديمة مع أهل السُنَّة، وتمكَّن نصير الدين الطوسي من نقل قدرٍ من كُتب بغداد إلى مدينة مراغة، وأنشأ فيها دارًا جديدة للحكمة ورصد خانة<sup>2</sup>.

استباح المغول بغداد أربعين يومًا، فمالوا على البلد وقتلوا جميع من قدرُوا عليه من الرِّجال والنِّساء والولدان والمشايخ والكُهول والشُّبَّان، فكانوا يذبَحون الرجل، ويسبون من يختارونه من بناته وجواريه، ولم ينجُ من هذه المذبحة سوى القليل، وأغلبهم كان ممن اختبأ في الآبار وأقنية المجاري والأوساخ، وأقدم بعض الناس على الاختباء في الحانات والدكاكين وأقفَلوا الأبواب على أنفسهم، فكان المغول يكسرون الأبواب أو يحرقوها، ويقتحمون تلك الأماكن ويقتلون من فيها، وقام بعض هؤلاء بِمُحاولة الاحتماء على السُطوح، فكان المغول يصعدون ورائهم ويذبَحونهم، فتسيلُ دمائهم في المزاريب إلى الأزقة.

يقول ابن كثير «...وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الْأَبَارِ وَأَمَاكِنِ الْحُشُوشِ، وَفُنيَ الْوَسَخُ، وَكَمُنُوا كَذَلِكَ أَيَّامًا لَا يَظْهَرُونَ، وَكَانَ الْفَنَاءُ مِنَ النَّاسِ يَجْتَمِعُونَ فِي الْخَانَاتِ، وَيُغْلِقُونَ عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابَ، فَتَفْتَحُهَا النَّتَارُ إِمَّا بِالْكَسْرِ أَوْ بِالنَّارِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ فَيَهْرُبُونَ مِنْهُمْ إِلَى أَعَالِي الْمَكَانِ، فَيَقْتُلُونَهُمْ فِي الْأَسْطِجَةِ، حَتَّى تَجْرِيَ الْمَيَازِيبُ مِنَ الدِّمَاءِ فِي الْأَزْقَةِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ...» وحرق المغول كُتب العلم والأدب، وقيل أنهم استخدموها جسرًا لعبور النهر.

اختلف المؤرخون في عدد من قُتلوا في بغداد، فمنهم من قدرها بحوالي 90,000 أو 200,000 قتيل، وحسب المصادر الفارسيَّة فإنَّ القتلى تراوح عددهم ما بين 800,000 إلى 2 مليون، وقال ابن تغري بردي أنهم بلغوا أكثر من 1,800,000 نفس، أو مليوني نفس، فيما رجَّح الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام» أن القتلى كانوا 800,000 نسمة وبعد الأربعين يومًا، أوفد أهل بغداد شرف الدين المراغي

<sup>1</sup> الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (ت 463 هـ - 1070 م) - تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 214  
<sup>2</sup> المصدر نفسه ، 230.

وشهاب الدين الزنجاني إلى هولاكو يطلبون الأمان، فأصدر هولاكو أوامره بوقف النهب، وانصرف أهل بغداد إلى مُزاولة أنشطتهم اليومية<sup>1</sup>.

### **إعدام المُستعصم**

**في يوم الجمعة 11 صفر 656 هـ الموافق فيه 16 فبراير 1258 م)، دخل هولاكو قصر الخليفة، وأمره أن يذّله على كُنوزِه، فدّله الخليفة من خوفه على أحواضٍ تحت ساحة القصر، مملوءة بالذهب الأحمر، وكان هولاكو قد قال للخليفة أنّ المغول ضيوفه وهو المُضيف، فعليه أن يُحضر لهم ما يليقُ بهم، أي أموال وكنوز بني العباس.**

كان الخليفة من شدّة خوفه نسي موضع مفاتيح الخزائن، فطلب كسر الأقفال، وأعطى هولاكو 2000 ثوب و10,000 دينار ونفائس ومُرصّعات وجواهر. فأحدها هولاكو من غير اكتراث وأعطاها لِلأمراء والموجودين. ويذكر مؤرّخ المغول أنّ ما جمعه بني العباس خلال خمسة قُرونٍ من أموال أصبح غنيمةً لِلْمغول، فجمعه وكدّسوه حتّى صار وكأنّه جبلٌ على جبل .

سأل هولاكو الخليفة لِمَا رأى كثرة أمواله . «إِذَا كُنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ الذَّهَبَ لَا يُؤْكَلُ فَلِمَ احْتَقَطْتَ بِهِ، وَلَمْ تُوزِّعْهُ عَلَى جُنُودِكَ، حَتَّى يَصُونُوا لَكَ مُلْكَكَ الْمَوْرُوثُ مِنْ هَجَمَاتِ هَذَا الْجَيْشِ الْمُغِيرِ؟ وَلِمَ لَمْ تُحَوِّلْ تِلْكَ الْأَبْوَابَ الْحَدِيدِيَّةَ إِلَى سِهَامٍ وَتُسْرِعَ إِلَى شَاطِئِ نَهَرٍ جَيْحُونَ لِتُحَوِّلَ دُونَ غُبُورِي؟» «فقال الخليفة»: هَكَذَا كَانَ تَقْدِيرُ اللَّهِ»، فردّ هولاكو»: وَمَا سَوْفَ يَجْرِي عَلَيْكَ إِنَّمَا هُوَ تَقْدِيرُ اللَّهِ»<sup>2</sup>.

ثمّ أمر هولاكو بجمع حريم الخليفة وإحصائهم، فكانوا 700 زوجة ومُلك يمين و1000 جارية، فأمره بأن يختار منهن مائة، فاخترهم الخليفة من قريباته والمُحظيات لديه. ثمّ أمر هولاكو بوضع الخليفة في السجن وأن يُمنع الطعام عنه، ولَمَّا طلب المُستعصم بشيءٍ من الطعام أرسل له هولاكو طبقاً فيه جواهر ذهب وفضّة وطلب منه أن يأكلهم .

**في 14 صفر 656 هـ الموافق فيه 19 شبّاط (فبراير) 1258 م، أرسل هولاكو في طلب الخليفة الذي شعر أنّ استدعائه علامة نحسٍ كبيرة، فسأل وزيره ابن العلقمي: «ما حيلثُنا؟». فردّ عليه ابن العلقمي باستهزاء: «لحيثُنا طويلة»، مُشيرًا ومُستدكرًا نكايه مُجاهد الدين الدوادار بنصيحته عندما قال للخليفة أن يُرسل هدايا وعطايا إلى المغول لِيتجنّب الحرب مع هولاكو، فرفض الدوادار تلك النصيحة وقال: «لحيّة الوزير طويلة».**

ولَمَّا يئس الخليفة من إنقاذ حياته استأذن في أن يذهب إلى الحمّام لِيجدد اغتساله ويكون على طهارةٍ إن قرر المغول قتله. فأمر هولاكو خان بأن يذهب مع خمسةٍ من المغول، ولكنّ الخليفة قال: «أنا لا أريد أن أذهب بصحبة خمسةٍ من الزبانية».

وفي مساء ذلك اليوم، أمر هولاكو بإعدام الخليفة، فقتله المغول بعد أن جُمع في سجّاد، وركلوه ركلاً بالأرجل حتّى مات، وقيل خنقوه أو أغرقوه. وقيل أنّهم قتلوه بهذه الطريقة كي لا تسيل دماءه على الأرض فيُصبح له ثأر بين المسلمين وكان عُمره يومئذٍ سنّاً وأربعين سنةً وأربعة أشهرٍ، وبلغت مُدّةُ خلافتِه خمس عشرة سنةً وثمانيةً أشهرٍ وأيام.

<sup>1</sup> السيوطي عبد الرحمن بن الكمال بن جلال الدين (ت 911هـ - 1505 م) - تاريخ الخلفاء، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، 1952 م، ص 87.

<sup>2</sup> المصدر نفسه 90 .

كما قتل المغول الابن الأكبر للخليفة أبو العباس أحمد وله خمس وعشرون سنة، ثم قُتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة، وأسر ولده الأصغر مبارك وسُبيت بناته فاطمة وخديجة ومريم. كما قُتل خمسة من الخدم الذي كانوا يتبعون الخليفة وأولاده في قرية «وقف»، وبعد بضعة أيام أرسل مبارك الابن الأصغر إلى أولجاي خاتون فأرسلته إلى مراغة ليكون مع الخواجة نصير الدين الطوسي ثم زوجه المغول من امرأة مغولية فأنجب منها بولدين ، وفي اليوم التالي لإعدام الخليفة، تتبع المغول العباسيين قتلاً، فقتلوا على كل شخص وجده حياً من العباسيين إلا أفراداً قلائل لم يأبها لهم. وبذلك قُضي على دولة خلفاء آل العباس الذين حكموا بعد بني أمية وكانت مدة خلافتهم خمسا وعشرين وخمسمائة سنة وعددهم سبعة وثلاثون خليفة خروج الناس من مخابئهم<sup>1</sup>.

كان من بقي على قيد الحياة من أهالي بغداد قد أصبح في أسوأ حال، بعد أن مضى عليهم أربعين يوماً مُختبئين في الأقبية والمجاري تحت الأرض، ولما نُودي ببغداد بالأمان خرج من كان تحت الأرض بالمطامير والفني والمغائر، كأنهم الموتى إذا نُبشوا من قبورهم، وبلغ من هول صدمة الناس وخوفهم أن أنكروا بعضهم بعضاً، فلم يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أخاه، وظلوا على تلك الحال فترة من الوقت حتى أدركوا نهاية محنتهم، فبادروا إلى دفن الضحايا المتناثرين، وطهروا الطرق من جثث القتلى والحيوانات النافقة وفتحوا الأسواق من جديد .

أقرَّ المغول ابن العُلقي وعدداً من رجال الخليفة على مناصبهم، فأبقوا الأخير في منصب الوزارة، وأرسلوا فخر الدين الدامغاني ليكون صاحب الديوان وجعلوا علي بهادر شحنة لها وعينوا المحتسبين لمراقبة المقاييس والأوزان ونصبوا عماد الدين عمر القزويني نائباً للأمير قراتاي وهو الذي عمّر مسجد الخليفة ومشهد موسى الجواد، وكذلك نُصب نجم الدين أبو جعفر أحمد بن عمران الملقب بـ«رأس دل» والياً على أعمال شرقيّ بغداد مثل طريق خراسان والخالص البندنجين، وأمر هولاكو بأن يكون نظام الدين عبد المنعم البندنجي قاضياً للقضاة واختار كوكه إيلگه وبوقا تيمور ومعهما ثلاثة آلاف من فرسان المغول وبعث بهم إلى بغداد ليقوموا بالعمارة في الحال وليعملوا على استتاب الأمن.

كما أقرّوا بدر الدين لؤلؤ على إمارة الموصل، وفي يوم الخميس التاسع والعشرين من صفر حضر إلى الدركاة شرف الدين ابن الوزير ابن العُلقي ومعه صاحب الديوان لتلقي التعليمات ثم عادا وفي يوم الجمعة الثالث من العشرين رحل هولاكو ونزل بقية الشيخ مكارم، ومن هناك كان يسير مرحلة بعد مرحلة إلى أن بلغ معسكراته في خانقين.

وينقل ابن كثير أنَّ ابن العُلقي كان يعتزم تعطيل المدارس والمساجد والرُبط السُنيّة ببغداد، ويستمر بالمشاهد والمدارس الشيعيّة فحسب، وأراد أن يبنّي للشيعة مدرسة ينشرون بها علومهم الفقهيّة، لكنّه لم يتمكّن من ذلك، إذ لم يُعمّر بعدها كثيراً، فمات في مُستهل جُمادى الآخرة بعد شُهور يسيرة من سقوط بغداد، وخلفه ابنه في منصبه، لكنّه مات أيضاً قبل انقضاء العام. وبعد سنة عيّن هولاكو عطاء الملك الجويني حاكماً على بغداد وجنوب العراق ومحافظة خوزستان<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> بن النجار، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، ( ت 402 هـ - 1011م) - عجائب البلدان، تحقيق أنور محمود الزناتي، نشر مكتبة الثقافة الدنية سنة 2007م. ، ص 209 .

<sup>2</sup> ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، ( 711 هـ - 1311م) مختصر تاريخ دمشق، تحقيق روحية النحاس، ورياض عبد الحميد مراد، ومحمد مطيع الحافظ، دار الفكر، طبعة 1984م ، ص 320.

رغم اختلاف التقديرات حول عدد القتلى في بغداد إلا أنه من المُتفق أنها كانت أعداداً ضخمة جداً، وقد تناثرت الجثث في الطرقات كأنها التلؤلؤ، ثم تساقطت عليهم الأمطار فتغيّرت صورتهم، وأنتنت المدينة من جيفهم، وتغيّر الهواء، واضطر هولاء أن ينقل مُخيمه من المدينة بسبب رائحة العفونة التي انطلقت من جيف القتلى.

حصل بسبب ذلك وباءٌ شديد حتى تعدّى وسرى في الهواء إلى الشّام، فمات خلقٌ كثيرٌ من تغيّر الجوّ وفساد الرّيح في حلب ودمشق يقول ابن كثير في هذا المجال: «فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاغون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.» وسرعان ما أصيب بالوباء الكثير من الأشخاص الذين نجوا من المذبحة، فماتوا هم أيضاً.<sup>1</sup>

ويقال أنّ هولاء كان قد عقد العزم على إحراق بغداد عن بُكرة أبيها قبل أن يُغادرها لكثرة ما أنتن جوّها وبعد أن لم يبقَ فيها من معالم الحضارة والعمران إلا اليسير، لكن كتبنا نصحه ألا يفعل لأنّ بغداد مدينة كبيرة ومقصد الثّجار من كل حدب وصوب، ويُمكنها أن تأتي للمغول بالأموال الطائلة، فصرف هولاء النظر عن إحراقها.

كان لسقوط بغداد دويّ هائلٌ وعميقٌ في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. واهتزّ الحُكّام المسلمون في المناطق المُجاورة لهذا الحدث الجلل، واعتبر المسلمون في كلّ مكان، أنّ سقوط الخلافة العبّاسيّة صدمةٌ مُريعة، وتحدياً مُخيفاً، كان له أسوأ الأثر في نفوسهم. فعلى الرّغم من أنّ الخلافة ظلّت منذ زمنٍ طويلٍ تفقد قدراً كبيراً من سلطتها الماديّة، فإنّ مكانتها الأدبيّة والروحيّة لا زالت قويّة.

فبكى بغداد الكثير من المؤرخين والباحثين والعلماء، منهم ابن الأثير الذي قال: «لقد بقيتُ عدّة سنينَ مُعرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدمُ إليه رجلاً وأؤخرُ أخرى، فمن الذي يسهّلُ عليه أن يكتب نعي الإسلام والمُسلمين؟ ومن الذي يهونُ عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني متُّ قبل حدوثها وكُنْتُ نسياً منسياً.» وعبر عن هذا الألم تقيّ الدين إسماعيل التنوخي في قصيدة مشهورة من 66 بيت.

وما حدث من استئصال الأسرة العبّاسيّة وتدمير العاصمة، جعل خلافة المُسلمين شاغرة يتطلّع إليها كل زعيم طموح من المُسلمين. فحاول البعض أن يتبوأ هذا المنصب لكنّه فشل، ويبدو أنّ الناصر يُوسف صاحب حلب ودمشق فكّر في الإقدام على إحياء الخلافة العبّاسيّة عقب سقوط بغداد، من خلال استقطاب أحد أبناء البيت العبّاسي الفارين من وجه المغول، فيعلنه خليفة في الشّام. لكن سرعة تطوّر الأحداث، عقب قيام دولة المماليك البحريّة، وبروز الخطر المغولي، لم يُمكنه من تحقيق ذلك.

ونهج المُظفر قُطر نهج الناصر في التفكير، ذلك بأنّه علم، حين قدم دمشق بعد معركة عين جالوت، بوجود أمير عبّاسيّ يدعى أبا العبّاس أحمد، قد وصل أخيراً إلى دمشق، فأمر بإرساله إلى مصر تمهيداً لإعادته إلى بغداد. وتذكر بعض الروايات أنّ المُظفر بايع فعلاً هذا الخليفة وهو في دمشق، غير أنّ حادثة اغتياله حالت دون تنفيذ هذا المشروع.

لقد شاءت الطّروف أن يكون تنفيذ هذا المشروع على يد الظاهر بيبرس الذي شعر بشدّة تأثر المُسلمين بسقوط بغداد وخلو منصب الخلافة من خليفة يكون له المقام الروحي المرموق، وأصبح الوضع

يتطلب أن ينهض زعيم إسلامي طموح يعمل على إعادة إحياء الخلافة العباسية لتؤدي دورها القيادي الروحي في العالم الإسلامي، فوقع اختياره على أمير عباسي آخر هو أبو القاسم أحمد، فأحضره إلى القاهرة واستقبله استقبالاً حافلاً وبُيع بالخلافة صباح يوم الاثنين 13 رجب 659 هـ الموافق فيه 15 حزيران (يونيو 1261 م)، وتلقب بلقب «المستنصر لله»، على أنه لم يرجع إلى بغداد حيث أضحت قاعدة للحكم المغولي، كما رأى بيبرس أن إبقاء الخليفة في القاهرة من شأنه أن يجعل من الخلافة سنداً للسلطنة المملوكية ودعمًا روحياً لها يجعلها مهيبة الجانب<sup>1</sup>.

وبناءً على هذا، فقدت بغداد قيمتها ومكانتها بعد أن دُمّرت معالمها ولم تعد حاضرة الخلافة، ولم يبقَ في ذهن المسلمين سوى ذكراها وأخبار عظمتها ومجدها، ويشهد بذلك الرحالة ابن بطوطة الذي زارها خلال شهر جويلية سنة 1327م، ووصفها قائلاً: دَهَبَ رَسْمُهَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اسْمُهَا.»

<sup>1</sup> ابن طيفور، أحمد بن أبي الطاهر ( ت 280هـ - 893م) كتاب بغداد، تحقيق زاهد الكوثري، نشر مكتبة الثقافة الإسلامية مصر القاهرة، طبعة سنة 1368م، ص 165.

### الخاتمة :

لقد شكّل سقوط بغداد ضربةً قويّةً للحضارة والثقافة، فقد كانت هذه المدينة مركزاً هاماً للعلوم والآداب والفنون، وغنيّةً بعلمائها وأدبائها وفلاسفتها وشعرائها. فلمّا حلّت بهم النكبة على أيدي المغول، قُتل آلاف من العلماء والشعراء، وفرّ من نجا منهم إلى الشام ومصر، كما أحرقت المكتبات، وخربت المدارس والمعاهد، وقُضي على الآثار الإسلامية .

يعتقد بعض المؤرخين بأنّ غزو المغول أثار كثيراً على البنية التحتية لأنظمة الري في العراق التي تواجدت منذ حضارات ما بين النهرين قبل آلاف السنين. فقد سُدّت قنوات الري كتكتيك عسكري، كما خربت سدود وأنهار ونُظم أسقاء، ولم تُرمم بعد ذلك، مما تسبب في مقتل كثيرين أو هجرهم لأراضيهم، يقول المؤرّخ والباحث ستيفن همسلي لونغريك في هذا المجال: «العراق قبل سنة 1258م كان مختلفاً جداً عن عراق الحاضر. حيث اعتمدت أنظمة الزراعة على شبكة ري عُمرها آلاف السنين. وكانت بغداد من أفضل المراكز الفكرية بالعالم. وتدمير المغول لبغداد كانت ضربة معنوية للإسلام بحيث من القوة لم تسترد عافيتها، الإسلام تحوّل فكرياً وازدادت الصراعات ما بين الدين والفكر وأصبح الدين أكثر تحفظاً. باستباحة بغداد ذُبل النشاط الفكري. تخيل أئينا بمجدها وأسطوها قد أزيلت ومُحيت بقنبلة نووية فلنتخيل فداحة الضربة. ملأ المغول قنوات الري وأفرغوا العراق من السكّان» .

ابتهج العالم المسيحي بالنصر المغولي على المسلمين في بغداد، ورحب الملوك والأباطرة والأمراء النصارى المشرقيين بهولاكو وزوجته النسطورية، أمّا النصارى الغربيين الكاثوليك فعلى الرغم من سرورهم بسقوط حضرة الخلافة الإسلامية، إلّا أنّهم آثروا البقاء على الحياد لمّا رأوا من قسوة المغول ونهبهم مدينة صيدا التابعة لهيمنتهم وكذلك انتظاراً لنتائج الحرب بين المماليك والمغول، وأيضاً بسبب التجربة السابقة بين الصليبيين والمغول، عندما أرسل البابا إنوسنت الرابع سفارةً إلى الخاقان كيوك خان يعرض عليه التعاون ضدّ المسلمين ويدعوه إلى اعتناق المسيحية، فردّ عليه الأخير أن يجمع أمراء الغرب الأوروبي جميعاً ليأتوا إلى مغولستان لتقديم فُروض الولاء والطاعة للهاقان، وبعد ذلك يبدأ التعاون، وبالطبع رفض ملوك أوروبا الغربية هذا الطلب وتوجسوا خوفاً من جبروت المغول.

تعرّضت وحدة العالم الإسلامي لضربة قاسية، وأضحت وحدة المسلمين من الأمور التي يصعب أو حتّى يستحيل تحقيقها، بعد أن خضع كثير من الحُكّام المسلمين للمغول مثل الأتابك سعد بن أبي بكر، وأتابك فارس، والسُلطانين عزّ الدين كيكاس بن كيخسرو وأخيه رُكن الدين قلج أرسلان بن كيخسرو حاكميّ دولة سلاجقة الروم.

ويشير بعض المؤرخين الإيرانيين المعاصرين إلى أنّ الغزو المغولي لبغداد وإسقاط الخلافة العباسية كان بداية «استقلال» إيران وانفصالها عن التأثير العربي القوي الذي بدأ منذ أيّام الفُتوحات ووصولاً إلى العهد المغولي، على أنّ الهوية الإيرانية لم تتبلور تماماً وتتفصل عن الهوية العربية الإسلامية إلّا في عهد الشاه إسماعيل الصفوي.

## قائمة المصادر و المراجع :

أولاً : قائمة المصادر :

-القرآن الكريم .

1/ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، (ت 630 هـ - 1332 م)،الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، طبعة 1965 م .

2 / ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597 هـ - 1200 م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آبا، طبعة 1940م .

3/ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن، (ت 808 هـ - 1405 م)، تاريخ ابن خلدون، المسمى، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر، بولاق، طبعة 1867م،المقدمة، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م .

4 /الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله، (ت 748هـ - 1347 م)- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق :عمر عبد السلام الترمذي، بيروت1987م- .تذكرة الحفاظ ، تحقيق زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1998م- العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت .

5 / الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير،( 310 هـ – 922 م)تاريخ الرسل والملوك، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، طبعة 1979م .

6/ أبو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بنشاه بنشاه بن أيوب ،(732هـ - 1332م)،المختصر في أخ بار البشر . طبع على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه ، الطبعة الأولى .

7/ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت 672هـ - 1283 م) ،آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، طبعة 1960م .

8 /ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي، (ت 481هـ - 1089م)،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار بن كثير، طبعة 1406هـ .

9 /ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمران، (ت 774 هـ - 1362م)،البداية والنهاية، الطبعة الثانية، بيروت، 1977م .

10 / المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت 346 هـ - 957 م) - مروج الذهب ، تحقيق، محمد محي الدين حميد، مطبعة السعادة، مصر طبعة 1958م .لتنبيه والإشراف ، لجنة تحقيق التراث ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1402هـ - 1981م .

11 / مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب، (ت 421 هـ - 1030 م) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، مصر، طبعة 1915م .

12 / ابن المطهر، المظهر بن طاهر المقدسي، (بعد 355هـ - 965 م)- البدء والتاريخ، باريس، طبعة 1903 م .

13 /ابن الوردي، سراج الدين أبي حفص عمر بن محمد بن أبي الفوارس،(ت 861 هـ- 1456 م)- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1996 م .

14 / اليعقوبي، أبو يعقوب اسحق بن واضح، (ت 292 هـ - 904 م)- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت .

15 / البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر،(ت 279 هـ - 892 م) فتوح البلدان، القاهرة، طبعة 1908 م .

16 /ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي، (ت 874 هـ - 1469 م)- النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى 1992 م .

17 /ابن العبري ، غريغوريوس الملطي، (ت 685 هـ - 1268 م)- تاريخ مختصر الدول ، الطبعة الثانية ، بيروت 1958 م .

18 /ابن النجار، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، (ت 402 هـ - 1011 م)- عجائب البلدان، تحقيق أنور محمود الزناتي، نشر مكتبة الثقافة الدينية سنة 2007 م .

19 /الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (ت 463 هـ - 1070 م)- تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت .

20 /السيوطي عبد الرحمن بن الكمال بن جلال الدين (ت911هـ - 1505 م)- تاريخ الخلفاء، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، 1952 م .

21/ابن طيفور، أحمد بن أبي الطاهر (ت 280هـ - 893م)كتاب بغداد، تحقيق زاهد الكوثري، نشر مكتبة الثقافة الإسلامية مصر القاهرة، طبعة سنة 1368 م .

22 /ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله، (ت 660هـ - 1261م)- زبدة الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي محمد حامد الفقي، دار الكتب العربي، بيروت

23/ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ( 711هـ - 1311م) مختصر تاريخ دمشق، تحقيق روحية النحاس، ورياض عبد الحميد مراد، ومحمد مطيع الحافظ، دار الفكر، طبعة 1984م.

24 /ابن النجار، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، (ت 402 هـ - 1011 م)- ذيل تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى 2001 م .

#### **كتب التراجم والطبقات :**

25 /أبو بكر البيهقي، ظهر الدين ، (ت 565 هـ - 1266 م) - تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق :محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق ، طبعة 1946 م .

- 26 / تاج الدين، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الوهاب بن عبد الكافي، (ت 771 هـ - 1369 م) .  
-طبقات الشافعية الكبرى، القاهرة ، طبعة 1906 م .
- 27 /ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي، ( ت 873 هـ - 1469م) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق، نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة طبعة عام 1997 م .
- 28 /ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف ( ت 833 هـ - 1430م) -غاية النهاية في طبقات القراء. تحقيق ج برجستراسر، دار الكتب العلمية، طبعة 2006م.
- 29 /الجندي: محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي الكندي( ت 732 هـ - 1331م) - السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوغ الحولي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى 1933م
- 30/ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ( ت 377 هـ - 987 م )، تحقيق، السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1395 هـ - 1975 م .
- 31 / ابن حبيب، أبو دعفر محمد، ( 145 هـ - 762م)- المحبر، تحقيق اليزة ليخن شتيتير، دار الآفاق الجديدة. 32 /ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(ت 852 هـ - 1448 م).- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق، علي بن الحسين- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق على محمد عمر، نشر مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى عام 1418 هـ .
- 33 /ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، (ت 681 هـ - 1282 م)- وفيات الأعيان وأبناء هذا الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت ، طبعة 1968 م .
- 34 /ابن رافع، تقي الدين محمد بن هجرس أسلامي، ( ت 774 هـ - 1372م) الوفيات ، تحقيق، صالح مهدي عباس ، بشار عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى .
- 35 /روحي، أبي الحسن علي بن عبد الله محمد بن أبي السرور ،كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى وتواريخ الخلفاء ، تحقيق محمود زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية .
- 36 / السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، ( ت 771 هـ - 1370م) ، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1413 هـ .
- 37 /لسمعاني، الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ( ت 562 هـ - 1167م)- الأنساب، تقديم وتعليق، عبد الله عمر البارودي، نشر دار الجنان .
- 38 /السيوطي عبد الرحمن بن الكمال بن جلال الدين (ت 911 هـ - 1505 م)،تاريخ الخلفاء، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، 1952 م .
- 39 /ابن شداد الحلبي، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي، ( 684 هـ - 1258م)- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، تاريخ لبنان والأردن وفلسطين، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهرسه سامي الدهان، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1992 م .

- 40 / الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، ( ت 476 - 1083م) طبقات الفقهاء، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، تحقيق، إحسان عباس، دار الرائد العربي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1970م .
- 41 / الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ( ت 764 هـ - 1362م) الوافي بالوفيات. تحقيق مجموعه من الأساتذة، فرانز شتاينر بفيسبادن، بيروت، 1962 - 1963م .
- 42 / ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت 580 هـ - 1148م) - الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق، قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية - القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001م .
- 43 / الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله، ( ت 748 هـ - 1347 م) - سيرة أعلام النبلاء، تحقق، شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوس، ط ٩ ، بيروت ، طبعة 1993م .
- 44 / الكندي، أبو عمر بن يوسف، ( ت 350 هـ - 961م) - تسمية ولاية مصر، طبعة 1908م .
- 45 / العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن الكوفي، ( ت 840 هـ - 1436م) معرفة الثقات، تحقيق، عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، 1405 هـ - 1985م .
- 46 / العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي، ( ت 1111 هـ - 1699م) - سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق عادل أحمد عبد الله الموجود ، وعلى محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1998م .
- 47 / ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب القسنطيني، ( ت 810 هـ - 1407م) الوفيات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، طبعة 1983م .
- 48 / ابن عبد البر، أبو عمرو يوسف بن عبد الله الضمري ، ( ت 463 هـ - 1070م) - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق، البجاوي ، القاهرة .
- 49 / ابن العجمي، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليل سبط، ( ت 1086 هـ - 1665م) - الاغتباط بمن رمي بالاختلاط، تحقيق، علاء الدين علي رضا، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى 1988م .
- 50 / الكتبي، محمد بن شاكر، ( ت 764 هـ - 1362م) فوات الوفيات، تحقيق :إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1974م .
- 51 / المبرد، أبي المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي ( ت 286 هـ - 899م) بحر الدم فيمن تكلم فيه الأمام احمد بمدح أو ذم ، تحقيق وتعليق روحية السويقي ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1413 هـ .
- 51 / المزني، جمال الدين أبو الحجاج يوسف، ( ت 742 هـ - 1341م) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، 1983م .

52 / ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ( ت 658هـ - 1259م) - إعتاب الكتاب، حققه وعلق عليه الدكتور صالح الأشر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الأولى، 1961م .  
**ثانياً: قائمة المراجع:**

53 /الأمين، حسن،الرضا " ع " ، والمأمون وولاية العهد وصفحات من التاريخ العباسي، دار الجديد لبنان، بيروت، الطبعة الأولى 1995م

54 /بيطار، أمينة، تاريخ العصر العباسي، نشر جامعة دمشق، طبعة 1997م .

55/حسن، على إبراهيم،التاريخ الإسلامي العام ، الجاهلية العربية ، الدولة العباسية . مكتبة النهضة ، المصرية ، القاهرة .

56 /الخصري بك، الشيخ محمد الخضري ،محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، الدولة العباسية ، تحقيق محمد العثماني ، دار القلم ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1986م .

57 /الدوري، عبد العزيز،العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع .

58 /رفاعي، أحمد فريد،عصر المأمون، دار الكتب المصرية، القاهرة طبعة 1927م .

59 /الزركلي، خير الدين،الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة 1980م .

60 /سالم، السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، الجزء الثالث، مؤسسة شباب الجامعة الطبعة 1993 م .

61 /التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى .شاكر، محمود- .التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة 2000م .

62 /شمسان، إيمان أحمد،اليمن في العصر العباسي الأول ( 132 هـ - 203هـ / 750 م - 818 م) دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، الشارقة الإمارات العربية المتحدة الطبعة الأولى 2001م .

63/شهلة، إيلي منيف الأيام الأخيرة في حياة الخلفاء ، راجعه وقدم له محمد عبد الرحيم ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى 1998م .

64 /الصلابي، على محمد ،عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج ، دار البيارق ، عمان ، الطبعة الأولى 1998م .

65 /العبادي، أحمد مختار،في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت- في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية .

66 /العسيري، أحمد معمور- موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام ( تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417هـ - 1996 ، 1997م،الدمام الطبعة الأولى 1996م .

67 /علي، جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. نشر جامعة بغداد، الطبعة الثانية 1993م .  
68/عوض، محمد مؤنس،الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ،  
الطبعة الأولى 1995م .

69 /الليثي، سميرة مختار.، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، لبنان .

70/أبو ليل، أيمن،العصر العباسي الأول، الطبعة الأولى 2005م .